مستقبل إصلاح الإدارة التربوية في رؤية ابن عاشور المقاصدية ومستهدفات التعليم في رؤية المملكة 2030

د. عبيد بن نداء رحيل العنزي / جامعة الحدود الشمالية
كلية التربية والآداب

استلام البحث: ٦/ ٦ /٢٠٢١ قبول النشر: ١٧/١٠/٢٠٢١ تاريخ النشر : ٣ /٧/٢٠٢٢
https://doi.org/ 10.52839/0111-000-074-004

المستخلص

تهدف الدراسة إلى بيان مدى مساهمة منطلقات إصلاح الإدارة التربوية عند ابن عاشور:
(الشمولية والعالمية، ربط التعليم بالقيم الأخلاقية سلوكًا، البناء المهارى لأنواع التفكير، المزج بين النمط الأوربي والأصالة الإسلامية) وعلاقتها بركائز رؤية المملكة 2030 في مجال التعليم:
(القيادة، البيئة، المعلم، المستجدات العالمية) في تحقيق إصلاح الإدارة التربوية، وتقديم رؤية مستقبلية لما ينبغي أن يكون عليه الإصلاح الإداري التربوي ونتائجه في المملكة خلال العشر السنوات القادمة.

منهج الدراسة:

اعتمد الجانب النظري على تطبيق أسلوب تحليل المضمون، أما في الجانب التطبيقي، فقد اعتمد الباحث تطبيق أسلوب دلفاي لسؤال الخبراء، باستخدام أداة الاستبانة، التي جرى توزيعها على عينة من (36) مشاركًا من الخبراء من أساتذة الإدارة التربوية والشريعة.

أهم النتائج:

١. تطبيق منطلقات إصلاح الإدارة التربوية في رؤية ابن عاشور يمكن أن يساهم بدور فعال في تحقيق الإصلاح الإداري التربوي من وجهة نظر الخبراء.
٢. ركائز رؤية المملكة 2030 في مجال التعليم من شأنها أن تساهم بفعالية في تحقيق إصلاح الإدارة التربوية.

أهم التوصيات:

١. استثمار التوجه الشمولي للقيادة الحكيمة على نحو ما تجسده رؤية المملكة 2030 بالبحث في إمكانية إدراج رؤية ابن عاشور المقاصدية لإصلاح التعليم ضمن أطر ومرجعيات تطوير التعليم.
٢. التوسع في دراسة وتطوير سبل تحقيق الرؤية المستقبلية التي قدمتها الدراسة، والتحول بها من المستوى النظري إلى المستوى التطبيقي.

الكلمات المفتاحية : ابن عاشور– إصلاح الإدارة التربوية – رؤية المملكة 2030.

The Future of Educational Management Reform in Ibn Ashour Vision of Purposes and the Objectives Of The Kingdom's Vision 2030

Dr. Obaid bin Nidaa Raheel Al–Aenezi

Northern Border University

College Of Education and Arts

Abstract

The study aims at explaining the extent to which the principles of educational management reform contribute to Ibn Ashour in achieving educational management reform and the extent to which the pillars of the Kingdom's Vision 2030 in the field of Education in achieving the educational management reform. The study also aims to provide a future vision of what the educational administrative reform and its results should be in the Kingdom during the next ten years. To achieve the goals of the study, the researcher followed two approaches: on the theoretical side, he relied on applying the content analysis method. As for the applied side, the researcher adopted the Delphi method by two questionnaires to ask (36) participants from the experts and specialists. The results revealed that there is a consensus between the principles of educational administrative reform in Ibn Ashour and the pillars of Saudi Arabia's Vision 2030 by Expert view. Moreover, there is future feasibility for the educational administrative reform in accordance with the principles of the educational administrative reform at Ibn Ashour and the pillars of Saudi Arabia's vision 2030 from the expert point of view. The study recommended that Ibn Ashour's vision for educational reform be included in the frameworks and references of the vision in the field of education development, and research on the possibility of benefiting from the application of a way and procedures to achieve the future vision that Presented by the study, and its transformation from the theoretical to the practical and applied levels.

Keywords: Ibn Ashor, educational reform, Saudi Arabia's vision 2030

تمهيد:

الاهتمام بالتعليم وإصلاح أحواله من الأمور التي تمايزت بها الأمم، وبحسب ارتقائه يكون تفاضل الأمم ونموها، وهذا الإصلاح الإداري التربوي ي من أبرز الاهتمامات التي باتت تستقر على رأس أولويات صناع القرار في مختلف دول العالم المعاصر، كما يعد من متطلبات التغيير الضرورية لتحقيق ملائمة العمل والمخرجات التربوية لكافة المرجعيات الدينية والتاريخية والفكرية والثقافية والاجتماعية المؤسسة لهوية وفكر كل مجتمع (هياق، 2011).

ودراسة التوجهات والرؤى الإصلاحية للإدارة التربوية عند المصلحين المسلمين، كالإمام محمد الطاهر بن عاشور لها أهمية بالغة في بناء الإيمان في النفوس بما يفضي إلى تهذيب السلوك الإنساني وفق مبادئ المنهج التربوي الإسلامي؛ إذ لابد من العودة إلى التراث العربي الإسلامي، والعمل على إحياء هذا التراث وتوظيفه في كافة التوجهات الإصلاحية في الوقت الحاضر والعمل من خلاله في اتجاه بناء المستقبل (التكوري، 2017، 60).

ثم إن ظهور العديد من المشكلات في واقع الإدارة التربوية، وعدم مقدرة النظريات الحديثة عن تقديم الحلول الناجعة لها، واختلاف بيئة وظروف واقعنا التربوي عن البيئة والواقع الذي نبتت فيه هذه النظريات، إضافةً إلى عدم وجود إجماع على الأخذ بنظرية موحدة واضحة صالحة للتطبيق العملي، وقلة العناية بالجانب التأصيلي للإدارة التربوية، كل ذلك أظهر الحاجة لاستنباط مقاصد شرعية موجهة لإصلاح الإدارة التربوية، وهي الغاية التي كانت في مقدمة الاهتمامات التي وضعها ابن عاشور لمشروعه المقاصدي الإصلاحي. في هذا السياق، تأتي جهود وتوجهات صناع القرار في المملكة العربية السعودية حاملةً لهذه الغايات، وساعيةً إلى مواجهة التحديات ومعالجة الاختلالات التي يعاني منها النظام التربوي عمومًا، والإدارة التربوية على وجه الخصوص، على نحو ما تجسده اليوم رؤية المملكة 2030، الأمر الذي يستدعي البحث في مدى توافق رؤية الإصلاح الإداري التربوي وفقًا لمقاصد الشريعة لدى ابن عاشور مع الركائز التعليمية لرؤية المملكة العربية السعودية 2030.

مشكلة الدراسة:

تتمثل مشكلة الدراسة في الحاجة إلى بحث مدى توافق رؤية الإصلاح الإداري التربوي وفقًا لمقاصد الشريعة الإسلامية لدى ابن عاشور مع رؤية المملكة العربية السعودية 2030، وهي المشكلة التي يمكن التعبير عنها وصياغتها على نحو ما يمثله السؤال الآتي:

ما الرؤية المستقبلية للإصلاح الإداري التربوي وفقًا لمقاصد الشريعة الإسلامية لدى ابن عاشور في ضوء رؤية المملكة العربية السعودية 2030 من وجهة نظر الخبراء؟

وتنبثق من السؤال عدة تساؤلات فرعية على النحو التالي:

١. ما مقاصد الشريعة الإسلامية عند ابن عاشور بالنسبة للإدارة التربوية؟
٢. ما مفهوم الإصلاح الإداري التربوي في ظل توجهات إدارة التغيير في رؤية المملكة2030؟
٣. ما درجة مساهمة منطلقات إصلاح الإدارة التربوية عند ابن عاشور: (الشمولية والعالمية، ربط التعليم بالقيم الأخلاقية سلوكًا، البناء المهاري لأنواع التفكير، المزج بين النمط الأوروبي والأصالة الإسلامية) في تحقيق إصلاح الإدارة التربوية من وجهة نظر الخبراء؟
٤. ما درجة مساهمة ركائز رؤية المملكة 2030 في مجال التعليم:
(القيادة، البيئة، المعلم، المستجدات العالمية) في تحقيق إصلاح الإدارة التربوية من وجهة نظر الخبراء؟
٥. هل توجد علاقة ارتباطية عند مستوى (0.01) بين منطلقات الإصلاح الإداري التربوي عند ابن عاشور وركائز رؤية المملكة العربية السعودية 2030 في تحقيق إصلاح الإدارة التربوية من خلال وجهة نظر الخبراء؟

أهداف الدراسة:

١. تسعى الدراسة إلى بناء الرؤية المستقبلية للإصلاح الإداري التربوي وفقًا لمقاصد الشريعة الإسلامية لدى ابن عاشور في ضوء رؤية المملكة العربية السعودية 2030 من وجهة نظر الخبراء.
٢. بيان مفهوم مقاصد الشريعة الإسلامية عند ابن عاشور.
٣. تعريف مفهوم الإصلاح عند ابن عاشور وعلاقته بكلٍ من الإدارة والتربية.
٤. بيان مدى مساهمة منطلقات الإصلاح الإداري التربوي عند ابن عاشور (الشمولية والعالمية، ربط التعليم بالقيم الأخلاقية سلوكًا، البناء المهاري لأنواع التفكير، المزج بين النمط الأوروبي والأصالة الإسلامية) في تحقيق إصلاح الإدارة التربوية من وجهة نظر الخبراء.
٥. بيان مدى مساهمة ركائز رؤية المملكة 2030 (القيادة، البيئة، المعلم، المستجدات العالمية) في تحقيق إصلاح الإدارة التربوية من وجهة نظر الخبراء.
٦. الكشف عن وجود علاقة ذات دلالة إحصائية بين منطلقات الإصلاح الإداري التربوي عند ابن عاشور وركائز رؤية المملكة 2030 في تحقيق إصلاح الإدارة التربوية من وجهة نظر الخبراء.

أهمية الدراسة:

تكمن أهمية الدراسة فيما يأتي:

أولاً: الأهمية النظرية، وتشمل:

١. أولوية قضية الإصلاح الإداري التربوي في ضوء المقاصد الشرعية، وإمكانية الاستفادة من رؤية ابن عاشور في صياغة وبناء هذا المدخل كأساس للتغيير المنشود، لاسيما في ضوء رؤية المملكة 2030.

٢. ضرورة أن يستند إصلاح الإدارة التربوية إلى أسس عملية توجه وترشد بها من خلال مقاصد تقوم أداء تلك الإدارة والحكم عليها، والتعرف على الصواب للأخذ به وتجنب الخطأ، وتساعد في وضع قواعد خاصة مستمدة من أصول الشريعة الإسلامية.

٣. احتمالية إفادة هذه الدراسة المختصين في علم الإدارة والتربية، وربط العلوم التربوية بعلوم مقاصد الشريعة الإسلامية.

ثانيًا: الأهمية التطبيقية، وتشمل:

١. أهمية ربط التوجهات والرؤى الإصلاحية ذات الطابع المقاصدي بالتوجهات والخطط المستقبلية الرامية إلى تطوير نظم التعليم وتحسين مستوى أداء إدارته على أسس شرعية قويمة تستمد من مقاصد الشرع الإسلامي.

٢. إمكانية اعتبار هذه الدراسة إضافة علمية جديدة في اتجاه بناء الرؤى الإصلاحية للإدارة التربوية، وإسهامها في توجيه الخطط والتوجهات الوطنية التي عبرت عنها رؤية المملكة 2030 من الناحية الإجرائية.

حدود الدراسة:

تقتصر الدراسة على دراسة الإصلاح الإداري التربوي وفقًا لمقاصد الشريعة الإسلامية لدى ابن عاشور في ضوء رؤية المملكة العربية السعودية 2030، وفق منطلقات الإصلاح الإداري التربوي عند ابن عاشور: (الشمولية والعالمية لعمليات الإصلاح، وربط التعليم بالقيم الأخلاقية سلوكًا، والبناء المهاري لأنواع التفكير التحليلي والنقدي والابتكاري، والمزج بين النمط الأوربي في التنظيم والأصالة الإسلامية في المحتوى)، في ضوء ركائز رؤية المملكة 2030 في مجال التعليم:
(القيادة، البيئة، المعلم، المستجدات العالمية).

مصطلحات الدراسة:

أولاً: تعريف الإصلاح:

ورد مصطلح الإصلاح في القرآن الكريم بعدة معاني منها: ما يقابل الفساد في قوله تعالى:
(ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها) [الأعراف: ٥٦]؛ وكذلك في قوله تعالى:
(ولا تجعلوا الله عرضة لإيمانكم أن تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس) [البقرة: ٢٢٤].

الإصلاح اصطلاحًا:

جرى تعريف الإصلاح بأنه: "الرجوع إلى الإسلام، ويصحب ذلك منهج كامل متكامل يشمل الأفراد والمجتمعات، يصلح العقيدة والفكر والثقافة، ويصلح السلوك والعبادة، فهو إصلاح اجتماعي واقتصادي وسياسي، وهو إصلاح تربوي تنظيمي شامل متكامل" (محمود، 1994: 15).

أما في الاصطلاح الغربي المعاصر، فقد جاء تعريف الإصلاح في قاموس أكسفورد على أنه: "تغيير أو تبديل نحو الأفضل في حالة الأشياء ذات النقائص وخاصةً في المؤسسات والممارسات السياسة والإدارية الفاسدة، أو الحائرة، وإزالة بعض التعسف أو الخطأ" (الواعر، 2016: 7).

ثانيًا: تعريف الإصلاح الإداري التربوي:

لكي يتضح مفهوم الإصلاح الإداري التربوي، لابد أولاً من بيان مفهوم الإصلاح الإداري على سبيل العموم؛ فقد عرف الإصلاح الإداري في مؤتمر الإصلاح الإداري للدول النامية الذي عقدته هيئة الأمم المتحدة في المملكة المتحدة عام 1971، بأنه: "الاستخدام الأمثل المدروس للسلطة والنفوذ لتطبيق أهداف جديدة على نظام إداري ما، من أجل تغيير أهدافه وبيئة إجراءاته بهدف تطويره لتحقيق أهداف تنموية"
(الواعر،2016: 11).

ويمكن تعريف مفهوم الإصلاح الإداري التربوي بصيغة إجرائية لأغراض هذه الدراسة، بأنه: "إعادة بناء وتوجيه وضبط الإدارة التربوية على منطلقات رؤية مقاصدية تراعي (الشمولية والعالمية لعمليات الإصلاح، وربط التعليم بالقيم الأخلاقية سلوكًا، والبناء المهاري لأنواع التفكير التحليلي والنقدي والابتكاري، والمزج بين النمط الأوروبي في التنظيم والأصالة الإسلامية في المحتوى. مع الأخذ باعتبارات التطوير والتحسين المستمر للإدارة التربوية، بما يسهم في تطوير عملية التربية والتعليم في المستويات والمحاور المختلفة تخطيطًا وتشريعًا وتنفيذًا شاملاً يقوم على الاستخدام الأمثل للموارد المتاحة في اتجاه تحقيق أهداف التربية بالأساليب الملائمة التي تعبر عن قيم المجتمع وتطلعاته المستقبلية بما يتوافق مع مرتكزات رؤية المملكة 2030: (القيادة، البيئة، المعلم، المستجدات العالمية).

ثالثًا: تعريف المقاصد:

تعريف المقاصد اصطلاحًا:

تعرف اصطلاحيًا بأنها: "المعاني والحكم الملحوظة للشارع في جميع أحوال التشريع أو معظمها"
(ابن عاشور، 2001: 251).

ويمكن تعريف المقاصد إجرائيًا بأنها: "الغايات والأهداف التي قصدها الشرع الحكيم؛ لتحقيق سعادة الإنسان ومصلحته في الدارين الدنيا والآخرة".

رابعًا: رؤية المملكة العربية السعودية 2030:

خطة شاملة لإدارة التحول والتغيير والإصلاح الشامل في المملكة العربية السعودية، أعدها مجلس الشؤون الاقتصادية والتنمية برئاسة ولي العهد الأمير محمد بن سلمان، حيث عرضت على مجلس الوزراء برئاسة الملك سلمان بن عبد العزيز آل سعود لاعتمادها، وتم الإعلان عنها رسميًا في 25 إبريل 2016، تتلخص رؤية المملكة العربية السعودية 2030 بأن تكون السعودية: "العمق العربي والإسلامي، قوة استثمارية رائدة، ومحور ربط القارات الثلاث (رؤية المملكة 2030).

وفي هذه الدراسة يتم التركيز على ركائز رؤية المملكة التعليمية إجرائياً حسب ما يأتي: القيادة، البيئة، المعلم، المستجدات العالمية.

خامسًا: تعريف الإدارة التربوية:

لكي نتبين ماهية الإدارة التربوية وطبيعتها وتعريفها لابد من بيان مفهوم الإدارة بصورة عامة؛ إذ تعرف الإدارة (Administration) كعلم بأنها: "العلم الذي يهتم بتوجيه الأعمال والسيطرة عليها وضبطها، واتخاذ القرارات المناسبة، فهي العمليات والوظائف الموجهة لتحقيق أهداف محددة

(مراد، 1998: 894).

وقد صيغت لها العديد من التعريفات والمفاهيم المختلفة والمتباينة، والتي يمكن إبراز عددًا منها على النحو الآتي (العايب، 2008: 32):

١. الإدارة التربوية هي: "تنظيم جهود العاملين وتنسيقها لتنمية الفرد تنمية شاملة في إطار اجتماعي متصل به وبذويه وبيئته، ويتوقف مدى نجاحها على مدى المشاركة في اتخاذ القرار".
٢. الإدارة التربوية هي: "علم وفن تسيير العناصر البشرية في المؤسسات التعليمية ذات الأنظمة واللوائح التي تهدف إلى تحقيق أهداف معينة بوجود تسهيلات وإمكانات مادية في زمان ومكان محددين".

ويمكن تعريف الإدارة التربوية إجرائيًا لأغراض هذه الدراسة بأنها: "الإدارة التي تشرف على تخطيط وتنفيذ السياسات والأهداف التربوية من خلال القيام بمجموعة من العمليات المنظمة والمتسقة القائمة على أساس علمي وعمل تشاركي وفق سياسة تربوية وتعليمية تستمد أهدافها العامة من فلسفة التعليم الإسلامية المنبثقة من أحكام القرآن الكريم والسنة النبوية، ومقاصدها وغاياتها الكبرى".

منهج الدراسة:

١. منهج البحث في الجانب النظري:

استخدام الباحث منهج البحث النظري،حيث اعتمد الباحث اتباع أسلوب تحليل المضمون؛ إذ يشير مصطلح التحليل (Analysis) إلى العملية التي تستهدف إدراك الأشياء والظواهر عن طريق تفكيك وفصل عناصرها ومكوناتها، ومعرفة خصائص كل منها والعلاقات التي تربطه ببقية العناصر والمكونات؛ أما المضمون أو المحتوى (Content)، فهو كل ما يدخل في لحمة وسدى العملية الاتصالية، ويشمل كل ما هو مكتوب أو مسموع من قبل الأفراد، وما يتصل به من الاستنتاجات والأحكام المفسرة له (عرب، 2009: 74).

وهذا المنهج يخدم الباحث في تحليل مضمون متغيرات الدراسة التي تشمل أعمال ابن عاشور الإصلاحي، والمسار الذي اتخذته جهوده التربوية والتعليمية في اطار رؤيته ومنهجه في دراسة المقاصد الشرعية، واستعراض ما تمخضت عنه تلك الأعمال من رؤى وأفكار مقاصدية ذات علاقة بالإصلاح الإداري التربوي، وأيضاً في تحليل مضمون رؤية المملكة 2030 وكافة الأدبيات المتعلقة بها، وفي تحليل الدراسات والبحوث السابقة، وبالتالي، بناء خلفية نظرية متكاملة حول متغيرات البحث.

٢. منهج البحث في الجانب التطبيقي:

للتحقق من مدى توافق رؤية الإصلاح الإداري التربوي وفقاً لمقاصد الشريعة الاسلامية عند ابن عاشور مع رؤية المملكة 2030، وتقديم رؤية استشرافية مستقبلية اعتمد الباحث تطبيق أسلوب دلفاي لسؤال الخبراء.

ولتحقيق أهداف الدراسة من خلال تلك المناهج فقد قام الباحث إجراء الدراسة على مجموعة من المتخصصين في الإدارة التربوية والشريعة الإسلامية في كلٍ من: جامعة أم القرى، والجامعة الإسلامية، وجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وجامعة طيبة، وجامعة الملك خالد في المملكة العربية السعودية كخبراء تم سؤالهم باستخدام أسلوب دلفاي للحكم على توافق منطلقات إصلاح الإدارة التربوية عند ابن عاشور مع ركائز رؤية المملكة 2030.

الحدود الزمانية: العام 1441– 2019.

أداة الدراسة:

بعد دراسة دقيقة لاحتياجات الدراسة من الأدوات الإجرائية لتطبيق أسلوب دلفاي، رأي الباحث أن يقوم بإجراءات الجانب العملي وفق هذا الأسلوب في جولتين تجرى على العينة نفسها في زمنين مختلفين، بحيث تعنى الجولة الأولى بوصف الظاهرة المدروسة في الزمن الحاضر، وفي المقابل، تعنى الجولة الثانية بالاستشراف المستقبلي– أي جمع آراء الخبراء لبناء تصور ورؤية مستقبلية لما يمكن أن تكون عليه الظاهرة المدروسة في المستقبل ، وبالتالي، فقد قام الباحث بتطبيق أسلوب دلفاي في جولتين، باستخدام أداتين/ استبانتين، وذلك وفق الإجراءات الآتية:

الجولة الأولى (الاستبانة المفتوحة):

تمت هذه الجولة باستخدام استبانة مفتوحة للحصول على وصف الخبراء للظاهرة المدروسة في الزمن الحاضر؛ إذ قام الباحث ببناء استبانة هذه الجولة بهدف التعرف على آراء وتقييمات الخبراء المشاركين والحصول منهم على إجابات على أسئلة الدراسة من خلال صياغة فقرات مكثفة تمكنهم من التعرف على منطلقات ابن عاشور وركائز رؤية المملكة 2030 المتعلقة بالإصلاح الإداري التربوي، في محورين منفصلين موضوعيًا، بالإضافة الى محور ثالث لقياس مدى توافق كل منطلق من منطلقات ابن عاشور في اصلاح الإدارة التربوية مع كل ركيزة من كائز رؤية المملكة 2030 في مجال التعليم.

وقد اعتمد الباحث في استبانة المرحلة الأولى على فقرات استقرائية مغلقة، ومحددة بخيارات ثابتة للإجابة على جميع فقرات المحورين الأول والثاني، وذلك من خلال تطبيق مقياس ليكرت الخماسي الأوزان، لضمان توسيع نطاق الخيارات، وتعدد الآراء والأحكام، ما يسمح بعقد مقارنات دقيقة بين الآراء، ويسهل اكتشاف

الأخطاء إن وجدت، وأيضًا تعديلها أو الحصول على تفسيرات وتبريرات منطقية وجيهة من أصحابها للاحتفاظ بها، والتعامل معها كنتائج.

الجولة الثانية (الاستبانة المفتوحة):

هدفت هذه الجولة إلى جمع آراء الخبراء بشأن الظاهرة موضوع الدراسة الحالية؛ وقد تم بناء استبانة مغلقة لهذه الجولة في ضوء النتائج التي تحصل عليها الباحث من إجابات الخبراء كبدائل على استبانة الجولة الأولى؛ إذ قام الباحث بإعادة صياغة آراء الخبراء وتحويلها من بدائل جاءت على هيئة محاور الاستبانة المفتوحة إلى أسئلة جديدة تهدف إلى الحصول على إجابات من الخبراء تسهم في استشراف مستقبل إصلاح الإدارة التربوية في ضوء منطلقات ابن عاشور في إصلاح الإدارة التربوية

(الشمولية والعالمية لعمليات الإصلاح ،وربط التعليم بالقيم الأخلاقية سلوكاً ، والبناء المهاري لأنواع التفكير ، والمزج بين النمط الأوربي في التنظيم والأصالة الإسلامية في المحتوى) ورفي ضوء ركائز رؤية المملكة 2030 في مجال التعليم(القيادة ، والبيئة ، والمعلم ، والمستجدات العالمية) التي اعتمد عليها الباحث لاحقًا في بناء الرؤية المستقبلية. وجاءت كالتالي

وبعد الانتهاء من الجولة الثانية، قام الباحث بتحليل إجابات الخبراء المشاركين احصائيًا، وعرض ومناقشة النتائج، والاعتماد عليها في بناء الرؤية المستقبلية، لما يمكن أن يكون عليه الإصلاح الإداري التربوي في المملكة وفق منطلقات ابن عاشور المقاصدية وفي ضوء ركائز التعليم في رؤية المملكة 2030، خلال العشر السنوات القادمة.

الإطار النظري والدراسات السابقة:

ويتضمن هذا الجزء مراجعة كافة الأدبيات النظرية والدراسات السابقة ذات العلاقة المباشرة بموضوع الدراسة، وهي علي النحو الآتي:

أولاً: الإطار النظري:

المبحث الأول: علم المقاصد ورؤية ابن عاشور المقاصدية في إصلاح التعليم.

المطلب الأول: علم المقاصد:

إن المدخل الأساس للتغيير هو الإصلاح والتطوير، ولا يمكن اتخاذ أية قرارات إصلاحية لتطوير أي نظام تربوي وتعليمي أو أحد عناصره، ما لم يتبع تلك القرارات من نتائج عملية تقويم متقنة؛ وأي قرارات أو توجهات إصلاحية تتخذ دون تقويم للنظام الإداري القائم تكون بمثابة تغيير قد ينعكس بالسلب على النظام ومخرجاته، وليس ثمة ضمان في تحقيق الأهداف الإيجابية المطلوبة (شحاته والنجار، 2004: 238).

عمل الشيخ محمد الطاهر بن عاشور في مؤلفه مقاصد الشريعة الإسلامية على بناء نظرية أصولية طمح بواسطتها إلى تخريج جديد لمقاصد الشريعة، ثم عدها خطة حسم في علم أصول الفقه يضمن تقدم المنظومة التشريعية الإسلامية مقابل الأخرى الغربية؛ فلم يدمج ابن عاشور المقاصد في علم أصول الفقه، إنما اعتبرها مرحلة لاحقة لهذا العلم (ابن عاشور، 2001: 172).

وهو أول من عنى بتعريف المقاصد؛ إذ عرفها بأنها: "المعاني والحكم التي لاحظها الشارع في جميع أحوال التشريع أو معظمها، بحيث لا تختص ملاحظتها بالكون في نوع خاص من أحكام الشريعة؛ فيدخل في هذا أوصاف الشريعة وغايتها العامة والمعاني التي لا يخلو التشريع عن ملاحظتها، ويدخل في هذا أيضًا معانٍ من الحكم ليست ملحوظة في سائر أنواع الأحكام، ولكنها ملحوظة في أنواع كثيرة منها"

(ابن عاشور، 2001: 251).

كما نجد للمقاصد تعريفًا عند الزحيلي، بأنها: "المعاني والأهداف الملحوظة للشرع في جميع أحكامه أو معظمها أو هي الغاية من الشريعة والأسرار التي وضعها الشارع عند كل حكم من أحكامها"

(الزحيلي، 1991م: 2/1017).

والفكر المقاصدي في بناء النظرية التربوية الإسلامية يمتاز بتحديد الرؤية العامة لمقاصد الشريعة، وبيان موقع مقاصد الشريعة منها، ونوع العلاقة التي ترتبط ببقية فروع المقاصد. ومن المناهج المشهورة في هذا الباب منهج ابن عاشور (السفياني، 1433 هـ : 104– 105).

تصنيف مقاصد الشريعة:

من خلال النظر في مشكلة البحث وأدبيات إطاره النظري يتضح اهتام علماء المقاصد الشرعية القدماء والمحدثين اهتمامًا بالغًا ببيان تلك المقاصد على التفصيل،؛ فعمدوا إلى تصنيفها وتبويبها وتقسيمها، انطلاقًا من بحثهم عنها في نصوص الكتاب العزيز وأحكام الشريعة؛ فقد قال الشاطبي في هذا الصدد: "إذا نظرنا إلى رجوع

الشريعة إلى كلياتها وجدناها قد تضمنها القرآن الكريم على الكمال، وهي الضروريات، والحاجيات، والتحسينات، ومكمل كل واحد منها، وهذا كله ظاهر" (الشاطبي، 3/368).

يتبين الأمر بمراجعة أقوال العلماء الأقدمين في مسألة التصنيف هذه للمقاصد ودلالتها بالنسبة للمصلحة المراد تحقيقها منها؛ فقد بيَّن الغزالي أنه يعني بالمصلحة المحافظة على مقصود الشارع ومقصود الشارع خمسة، وهو أن يحفظ عليهم دينهم ونفسهم وعقلهم ونسلهم ومالهم؛ فكل ما يتضمن حفظ هذه الأصول فهو مصلحة، وكل ما يفوت هذه الأصول فهو مفسدة ودفعها مصلحة؛ إذ توجد هذه الأصول الخمسة في المرتبة الأولى من ترتيب المصالح، وهي مرتبة الضروريات وتليها تباعًا مرتبة الحاجيات، وهي ما يقع من المصالح والمناسبات، ثم مرتبة التحسينيات، وهي ما يقع موقع التحسين والتزيين ورعاية أحسن المناهج في العادات والمعاملات، ولكل مرتبة من هذه المراتب الثلاث ما يكملها

(الغزالي، 1993 م : 289 – 290).

أخذ بذلك الشاطبي، مؤكدًا على أن الأمة اتفقت على أن الشريعة وُضعت للمحافظة على الضروريات الخمس، وهي: الدين، والنفس، والنسل، المال، والعقل، وعلمها عند الأمة ضروري" (الشاطبي، 1/38)، وقبل ذلك قال الشاطبي بأن أصول الفقه في الدين قطعية لا ظنية، كونها راجعة إلى كليات الشريعة، قائلاً: "وأعني بالكليات هنا: الضروريات والحاجيات، والتحسينيات" (الشاطبي، 1/35)؛ وبهذا أخذ ابن عاشور؛ فذهب إلى أنّ مقاصد الشّريعة مرتبتان مقاصد قطعيةّ، ومقاصد ظنية

(قراوي،2017: 270).

كما حذا ابن عاشور حذو الشّاطبي في القول بأنّ المقصد الأعظم للشّريعة الإسلامية هو جلب المصالح ودرء المفاسد؛ فالمقصد الأعظم من الشّريعة عند ابن عاشور هو جلب الصلاح ودرء الفساد؛ وهو ما يعني أنّ كلّ حكم من أحكام الشّريعة ينضوي ضمن هذا المقصد، وكلمة الأعظم دلتّ على الشّمول والكليةّ؛ فمقصد جلبْ الصلاح ودرء الفساد يشمل كلّ أحكام الشّريعة، وهو ما يتوافق مع قول الشّاطبي بأن التكّليف كلهّ إمّا لدرء مفسدة، وإمّا لجلب مصلحة، أو لهما معًا، وهذا المقصد الأعظم تنتهي إليه كلّ مقاصد الأحكام، وليس المقصد الأعظم للشريعة هو ذاتهُ المقصد العام، لكنّ الثاني ينُسب إلى الأوّل؛ فهو فرع عنه؛ ومن ثم فابن عاشور يؤكد على أن المقصد العام للشّريعة هو حفظ نظام الأمّة وصلاحها، وهذا الصّلاح يكون بجلب مصلحة أو بدرء مفسدة؛ لذلك يكون المقصد العام للشّريعة هو مقصد تابع للمقصد الأعظم، ولا يتّخذان الدّرجة نفسها، حتىّ إنهّ يمُكن أن نطلق على المقصد الأعظم للشريعة اسم "القاعدة الكليةّ"؛ فالشّريعة متطلبّة لجلب المصالح ودرء المفاسد، واعتبرنا هذا قاعدة كليةّ في الشّريعة

(قراوي،2017: 266).

يتبين من ذلك أن العلماء قد قسموا المقاصد الشرعية إلى مراتب وأقسام، أما مراتب المقاصد الشرعية فهي ثلاث مراتب، على النحو التالي:

١. حفظ الضروريات:

والضروريات هي التي تتوقف عليها حياة الناس الدنيوية، ولا تتوافر الحياة الإنسانية الرفيعة إلا بها، بحيث لو فقدت اختلت الحياة في الدنيا وفات النعيم وجاء العقاب في الآخرة، وتنحصر هذه المقاصد في المحافظة على الأصول الخمسة المتفق عليها: "الدين، النفس، العقل، النسل، والمال" (شلحة، 2012: 27).

٢. حفظ الحاجيات:

تعرف الحاجيات بأنها: "ما لا يتم دين الناس إلا بها، بحيث إذا لم تراع وقعوا في الحرج والمشقة؛ فلذلك لا ينبغي أن ينظر إلى غلظ المفسدة المقتضية للحظر، إلا وينظر إلى الحاجة الموجبة للإذن، بل الموجبة للاستحباب أو الإيجاب؛ فمن هنا جاء التيسير على الناس، والذي حث على الاعتناء بجانب التيسير وفق النصوص الشرعية الكثيرة الآمرة بالتيسير ورفع الحرج عن الناس (شلحة، 2012: 65).

ومن هذه المقاصد – المصالح – الحاجية ما يدخل في المقاصد الضرورية الخمس المذكورة سلفًا، إلا أن ذلك لا يبلغ ما بلغت إليه المقاصد الضرورية، ومن ذلك عندما نجمع جزئيات المقاصد الحاجية فترتقي إلى الدرجة الدنيا من المقاصد الضرورية؛ لأن الحاجي يكمل الضروري، ومكمل الحاجي في أدنى درجاته يكون في أعلى درجة التحسيني عند جمع جزئياته؛ لأن المقاصد التحسينية بدورها تكمل المقاصد الحاجية، وهناك مكمل للمقاصد التحسينية أيضًا فهو إذًا مكمل للمكمل، والمقاصد الضرورية الخمسة تكمل بعضها البعض (حسين، 2005: 164).

٣. حفظ التحسينيات:

تعرف التحسينيات بأنها: "كل ما يرجع إلى مكارم الأخلاق ومحاسن الأحوال والآداب في العادات والمعاملات، وتعد التحسينيات قسمًا من الحاجيات، وليست قسمًا مستقلاً بذاته، فهي تابع ومكملة للحاجيات والضروريات (شلحة، 2012: 66).

٤. المكملات:

لما كان الله – سبحانه وتعالى – قد شرع المصالح الضرورية والحاجية والتحسينية؛ وشرع لها الأحكام لتحقيقها وتحقيق المصالح المرجوة منها، والثمرة المترتبة عنها على أكمل الوجوه وأحسنها؛ فإنه عزَّ وجل شرع مع الأحكام التي تحفظ كل مصلحة منها أحكامًا تعتبر مكملة لها في تحقيق مقاصدها.

(اليوبي، 1998: 339- 338).

والمكملات بهذا لابد وأن تكون على ثلاثة أقسام (اليوبي، 1998: 341-339- 338):

١. مكملات الضروريات؛ وهي ما يكتمل به حفظ الضروريات، كتحريم البدع وعقوبة المبتدع؛ لأن المقصد هو المحافظة على الدين والتماثل في القصاص لحفظ الأنفس، وتحريم القليل من المسكر، وتحريم النظر إلى الأجنبية.. وغير ذلك.

٢. مكملات الحاجيات؛ وهي ما يتم بها حفظ الحاجيات، مثل خيار البيع، من حيث أن البيع هو الملك الحاصل بدون الخيار، ولكن شرعية الخيار تكمل ذلك المقصد.

٣. مكملات التحسينيات؛ كمندوبات الظهارة من البدء باليمين قبل الشمال، والغسل ثلاثًا؛ لأن الأصل هو مقصد الطهارة، وبهذه المكملات يحصل التحسين في الأصل.

أما أقسام مقاصد الشريعة؛ فقد أجمل العلماء تقسيمها على ثلاثة أنواع أو ثلاثة أقسام على النحو الآتي:

١. المقاصد العامة:

وهي التي تراعيها الشريعة وتعمل على تحقيقها في كل أبوابها التشريعية، أو في كثير منها، وهو ما ينظر إليه المتحدثون غالبًا بأنها على وجه التحديد مقاصد الشريعة (الريسوني، 1995: 20-19).

والمقاصد العامة عند ابن عاشور هي مقاصد التشريع العامة هي المعاني والحكم الملحوظة للشارع في جميع أحوال التشريع أو معظمها، بحيث لا تختص ملاحظتها بالكون في نوع خاص من أحكام الشريعة؛ فيدخل في هذا أوصاف الشريعة وغاياتها العامة، والمعاني التي لا يخلو التشريع عن ملاحظتها، ويدخل في هذا أيضًا معان من الحكم ليست ملحوظة في سائر أنواع الأحكام، ولكنها ملحوظة في أنواع كثيرة منها (ابن عاشور، 279:2001).

٢. المقاصد الخاصة:

وهي التي تهدف الشريعة إلى تحقيقها في باب معين من أبوابها؛ أو في أبواب قليلة متجانسة منها، وقد اعتنى بهذا القسم ابن عاشور عندما تتطرق إلى مقاصد الشارع في أحكام العائلة، وفي التصرفات المالية، وفي المعاملات، وفي القضاء والشهادة، وغير ذلك (الريسوني، 1995: 20).

ويعرفها ابن عاشور بأنها هي: "الكيفيات المقصودة للشارع لتحقيق مقاصد الناس النافعة، أو لحفظ مصالحهم العامة في تصرفاتهم الخاصة" (الحسني، 1981: 250).

٣. المقاصد الجزئية:

وهي ما يقصده الشارع من كل حكم شرعي، من إيجاب أو تحريم، أو ندب أو كراهة، أو إباحة أو شرط أو سبب. وقد عرفها (الفاسي١٩٩٣م) بأنها الأسرار التي وضعها الشارع عند كل حكم من أحكام الشريعة.

وأكثر من يعتني بهذا القسم من المقاصد هم الفقهاء؛ كونهم أهل التخصص في جزئيات الشريعة ودقائقها، فكثيرًا ما يشيرون إليها بمسميات وألفاظ عديدة، كالحكمة، أو العلة، أو المعاني، وغيرها (الريسوني، 1995: 20 -21).

أهمية المقاصد:

تأتي أهمية المقاصد من جوانب وأبعاد شتى، لاسيما وأنها تحتمل دلالات شمولية بالنسبة لما ينبغي أن يؤدي إليه تطبيق وإعمال الأحكام الشرعية من تحقيق لمصالح العباد؛ فمصلحة العباد هي العلة الموجبة للأحكام، وهي المقصد العام للشريعة. وهنا يؤكد ابن عاشور على أن البحث في المقاصد ليس من باب الترف العقلي ولا هو

مجرد طلب للمتعة الذهنية المجردة، بل هو ذو غايات عملية تهم المسلمين في حياتهم من كافة أبعادها وجوانبها (ابن عاشور، 2001: 86)؛ فمقاصد التشريع الإسلامي مهمة في حياة الإنسان المسلم، من حيث يجب أن يكشف للناس عنها وعن أهدافها باستمرار ليتم الاقتناع بدين الله، والترغيب في شريعته والتشويق إلى تكاليفه، والدعوة إلى أحكامه، والمطالبة بتطبيقها والتزامها؛ لأن الطبيعة البشرية تحب ما ينفعها وتميل قلوبها وأحاسيسها إلى ما وضح طريقته وظهرت منفعته، وإن مهمة الأنبياء والرسل كانت تهدف إلى تحقيق هذه المقاصد (شلحة، 2012: 22).

إن في معرفة المقاصد الشرعية زيادة للإيمان بالله وترسيخًا للعقيدة في قلب المسلم؛ لتكون عنده القناعة الكافية في دينه وشريعته، ويسعى جاهدًا للالتزام بأحكامها، ويحذر من مخالفتها، ويرفض الاستعاضة عنها فيزداد محبة لشريعته، وتمسكًا بدينه، كما أن معرفة المقاصد تعطي المسلم مناعة كافية ضد الغزو الفكري والعقدي، والتيارات المستوردة، والمبادئ البراقة والدعوات الهدامة، التي يستتر أصحابها وراء دعايات كاذبة، وشعارات خادعة، ويبذلون جهدهم لإخفاء محاسن الشريعة، (شلحة، 2012: 23).

وتظهر أهمية المقاصد بالنسبة للداعية في ترتيبها الأولويات، فيقدم الضروريات على الحاجيات والتحسينيات، ويقدم الأصل على التابع، ويقدم ما فيه مصلحة عامة على ما فيه مصلحة خاصة، ويخاطب الناس على قدر عقولهم ومستوياتهم من الفهم؛ فلابد من معرفة المقاصد لأنها الدواء الذي يجب أن يقدمه في الوقت المناسب وفي الظرف المناسب (شلحة، 2012: 23).

وهي كذلك بالنسبة للمربين والمعلمين؛ فبمعرفة مقاصد الشريعة يتمكنون من بيان المقاصد والأهداف الجليلة للشريعة الإسلامية ليتم الاقتناع بدين الله والترغيب في شريعته والتشويق إلى تكاليفه والدعوة إلى أحكامه والمطالبة بتطبيقه والالتزام به؛ لأن النفس البشرية تحب ما ينفعها والشريعة جاءت لتحقيق المنافع، والإسلام جاء لرعاية المصالح في الدنيا والآخرة كما جاء أيضًا لإصلاح الفساد

(الرماني، 1995: 24– 25).

بذلك تأتي المقاصد لضبط الحياة الفردية والأسرية والاجتماعية وحتى العالمية؛ لأنها قادرة على بناء وتنظيم الحياة بكافة أشكالها كأسس وموجهات، ومن ضمنها الإدارة والتربية.

المطلب الثاني: رؤية ابن عاشور المقاصدية في معالجة قضايا التعليم:

جاء الإسلام لإصلاح المجتمع الإنساني بدءًا بإصلاح أفراده الذين هم أجزاء نوعه، وبصلاح مجموعه وهو النوع كله؛ فابتدأ الدعوة بإصلاح الاعتقاد الذي هو إصلاح مبدأ التفكير الإنساني الذي يسوقه إلى التفكير الحق في أحوال هذا العالم؛ ثم عالج الإنسان بتزكية نفسه وتصفية باطنه لأن الباطن محرك الإنسان إلى الأعمال الصالحة (حسين، 2005: 176).

التعريف بابن عاشور:

هو محمد الطاهر بن عاشور رئيس المفتيين، وشيخ الإسلام، وأستاذ التفسير والبلاغة في جامع الزيتونة، وقاضي الجماعة، وشيخ الجامع الأعظم، وعضو مجامع اللغة العربية، وهو قطب الإصلاح التعليمي والاجتماعي في عصره، فهي حياة حافلة بمهمات العلم والإدارة والإصلاح، دالة على جذور كريمة وشخصية فذة (الشوبكي، 2009: 6).

اسمه محمد الطاهر بن محمد الطاهر بن محمد بن محمد الشاذلي بن عبدالقادر بن محمد بن عاشور، وأمه فاطمة بنت الشيخ الوزير محمد العزيز ابن محمد الحبيب بن محمد الطيب بن محمد بن محمد بوعتّور، أصل عائلته بلاد الأندلس، ثم انتقلت إلى سلا ببلاد المغرب، ثم إلى تونس، فقد كان والده الأقدم من الأندلس وهاجر منها إلى المغرب فارًا بدينه، واستقر في مدينة تونس سنة (1060هـ)، ومنه انحدرت الأسرة العاشورية، التي نشطت في أداء رسالتها والإشراف على الزوايا ذات التوجيه القويم بدءًا من زاوية الجد محمد التي كانت معروفة باسم علي الزواوي، وزاوية سيدي داود السلاوي في ضاحية قرطاج، وزاوية سيدي المصطاري المكناسي في مدينة بنزرت (القرني، 2007: 9).

عصره ونشأته ومؤلفاته:

عاصر الطاهر بن عاشور أسوأ حقبة مرت بها الأمة العربية والإسلامية سياسيًا واجتماعيًا واقتصاديًا ودينيًا وثقافيًا، وهي حقبة الاستعمار الأوروبي للأقطار العربية، فلم تبق إلا بعض المقاطعات التابعة اسميًا للخلافة العثمانية الضعيفة، وقد شهدت تونس في الحقبة التي ولد فيها وعاش وتربى حقبة اضطرابات وفوضى سياسية، ولاسيما بعد فرض بنود معاهدة الحماية المذلة عليها، وضعف الخلافة العثمانية عن حمايتها، وتنازع الأمراء على الحكم. هذه الفوضى انعكست على الجانب الاجتماعي والاقتصادي والديني والأخلاقي والعلمي، فقد عمَّ الجهل وسيطرت الخرافات والأباطيل والبدع على أذهان العامة، كما سيطرت الطرق الصوفية ورجال الزوايا على عامة الناس، وسلبتها أموالها باسم الدين، وتفشت الأمية بين أفراد الشعب التونسي، وفي ظل هذه الأوضاع والظروف المتردية وُلِد الشيخ ابن عاشور بقصر جده لأمه بالمرسى في جمادى الأول سنة 1296 هـ – 1879 م من عائلة عريقة في العلم، وطبقة اجتماعية رفيعة، فجده لأبيه كان قاضي الحاضرة التونسية، وجده لأمه العلامة الوزير الشيخ محمد العزيز بوعتّور (الشوبكي، 2009: 7).

ومنذ ولادته كفله جده للأم الشيخ العزيز بوعتور، وبدأ بتعلم القراءة وحفظ القرآن في السادسة من عمره في المنزل وفي الكتّاب، وشبَّ على تعليم القرآن حتى أتقنه حفظًا، ونشأ في وسط علمي، وتعلم الفرنسية ما تيسر له ذلك والتحق بجامع الزيتونة عام 1310- 1892، وقد ظهرت عليه علامات الذكاء، وزادت هذه العلامات والمواهب إبان التحاقه بالزيتونة، وبقي مثابرًا في الدراسة حتى نال شهادة التطويع سنة 1317– 1899 (أبو حسان، 2009: 58).

في جامع الزيتونة أخذ ابن عاشور العلم عن شيوخه، وتفوق في دراساته الدينية واللغوية والأدبية، حيث درس في حلقاته العلمية اللغة وشتى علومها من نحوٍ وصرفٍ وبلاغةٍ وعروض، كما درس علوم الشريعة من فقه وأصول وتفسير وحديث، ولم يلبث أن صار أستاذًا فيه وشيخًا من أعلام شيوخه عام 1896، وبعد تخرجه وحصوله على شهادة التطويع عاد إلى حضور دروس الشيخ محمد النخلي، فقرأ عليه الوسطى في العقيدة، وشرح المحلى على جمع الجوامع في أصول الفقه، والمطول في البلاغة، والأشموني في النحو، كما حضر مع صديقه الشيخ محمد الخضر حسين درس الأستاذ عمر بن الشيخ لتفسير البيضاوي، ودرس الأستاذ الشيخ محمد النجار لكتاب المواقف، ودرس الشيخ سالم بو حاجب لكتابي البخاري والموطأ بشرحيهما (القرني، 2007: 11).

توفي الشيخ محمد الطاهر بن عاشور في يوم الأحد الثالث عشر من رجب عام 1393 الموافق الثاني عشر من أغسطس عام 1973، عن عمر يقارب سبعًا وتسعين عامًا، رحمه الله رحمةً واسعة.

الفكر الإصلاحي عند ابن عاشور:

تكون فكر ابن عاشور الإصلاحي في سياق مزدحم بالهموم والقضايا الناشئة عن تردي الأوضاع السياسية والاجتماعية والفكرية والثقافية في تونس وعموم الأقطار العربية، وهي المرحلة التي برز فيها العديد من المصلحين ودعاة الإصلاح. نقل (أبوحسان، 2009) أن رائدًا الإصلاح: الشيخ محمد النخلي، وسالم بوحاجب من شيوخ ابن عاشور؛ وكانا على درجة عالية من العلم، وتعلقت بهما أنظار المصلحين؛ ولكن إرادة الله تعالى لم تشأ لهما تحقيق ما كانا يصبوان إليه، وشاءت الإرادة الإلهية أن يتحقق أملهما على يد تلميذيهما الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور، والتي آتت الطلبات والرغبات الإصلاحية على يديه أُكلها وبخاصة في مجال التعليم (أبو حسان، 2009، 59).

استطاع ابن عاشور أن يؤسس لنظرية جامعة في الإصلاح القيمي والتربوي والديني والاجتماعي والسياسي، انطلاقًا من القيم الأخلاقية والعمرانية المؤسسة في الفطرة بفعل التكوين الأصلي، وبفعل التكوّن التاريخي والاجتماعي الصالح لحياة المجتمع وازدهاره العمرانيّ، وحيث إن حياة المجتمع كحياة الفرد من حيث خضوعها لمبدأ النمو والتطور وتنوع الحاجات الوظيفيّة وتجدّدها، فأصل الأخلاق لدى ابن عاشور هو تعاليم الدين التي تتحوّل بفعل الممارسة والاستدامة عليها أخلاقًا راسخة، مؤكدًا في السياق ذاته على الفطرة؛ إذ إن عمل الإنسان بيديه فطرة جسديّة، وأن استنتاج المسبّبات من أسبابها، والنّتائج من مقدّماتها فطرة عقلية، والفطرة هي دين الإسلام، ثم نظر ابن عاشور إلى قوانين الاجتماع والعمران، وأخذ بأسبابها وعلومها في بناء فكره الإصلاحي، مؤكدًا على أنّ العقائد المنسجمة مع قوانين العالم يمكن أن تيسّر نهضة الأمم بخلاف العقائد المتعارضة مع السّنن الكونيّة والتّاريخيّة، وإن إصلاح المجتمع لابد وأن يبدأ من إصلاح الفرد، وهذا بدوره ما جعل من قضية التعليم وإصلاح النظام التعليمي أساسًا لمشروعه الإصلاحي

(الجليدي، 2017: 42- 38 – 30).

علم ونظرية مقاصد الشريعة عند ابن عاشور:

تبيّن فيما تقدم أن ابن عاشور يعد المؤسس الأول لعلم مقاصد الشريعة، كما تبيّن مفهوم المقاصد الشرعية عنده، بأنها المعاني والحكم الملحوظة للشّارع في جميع أحوال التشّريع أو معظمها، بحيث لا تختص ملاحظتها بالكون في نوع خاص من أحكام الشّريعة (ابن عاشور، 2001: 251)، ففي قوله: "جميع أحوال التشريع أو معظمها" يشير ابن عاشور إلى أنّ أحكام الشّريعة كلهّا معللّة، والجانب التعّبدي فيها ضئيل، وهو بذلك يقول بجواز التعليل المطلق لأحكام الشّريعة، وبخاصة في مجال المعاملات، فهو يرى أنه لا وجود لأحكام تعبدية في تشريع المعاملات، وإنّما هي أحكام خفِيت عِللهُا، وفي هذا ردّ على قول الشّاطبي بوجود الجانب التعبدّي في مجال المعاملات، أمّا ابن عاشور فيقول بخفاء العلةّ، وليس هو غيابًا للمقصد (قراوي، 2017: 266).

وعلى هذا الأساس سعى إلى بناء وتحديد مكونات علم المقاصد الشرعية، معتبرًا إياه أساسًا جوهريًا لتجديد علم الأصول؛ إذ لا سبيل لاستيعاب وإدراك علم الأصول إلا باستيعاب الأسس المقاصدية الكامنة وراءه، من حيث إنها السبيل الوحيد الذي يمكن من التمييز بين ما هو قطعي وما هو ظني في أدلة الأحكام الشرعية، وبالتالي فإن وظيفة علم الأصول وفق الرؤية المقاصدية عند ابن عاشور تتمثل في بيان تركيب الأدلة الفقهية وتحديد طرق الاستنباط منها؛ إذ يقول ابن عاشور: "ونحن إذا أردنا أن ندون أصولاً قطعية للتفقه في الدين حق علينا أن نعمد إلى مسائل أصول الفقه المتعارفة، ونعيد ذوبها في بوتقة التدوين، ونعيرها بمعيار النقد فننفي عنها ما غلث منها، ونضع فيها أشرف معادن ومدارك الفقه والنظر، ثم نعيد صوغ ذلك العلم ونسميه علم مقاصد الشريعة، ونترك علم أصول الفقه على حاله تستمد منه طرق تركيب الأدلة الفقهية، ونعمد إلى ما هو من مسائل أصول الفقه منزو تحت سرادق مقصدنا هذا من تدوين مقاصد الشريعة، فنجعل منه مبادئ لهذا العلم الجليل: علم مقاصد الشريعة" (ابن عاشور، 2001: 251).

يسعى علم مقاصد الشريعة عند ابن عاشور إلى تحقيق هدفين: هدف عام وهدف خاص، أما الهدف العام فيتمثل في تبصير الناظرين في الشريعة من مسالك فقهها تفسيرًا لنصوصها وتعليلاً لأحكامها واستدلالاً عليها، فيما يتجسد الهدف الخاص في تحكيم المقاصد عند الاختلاف الفقهي من أجل رفع الاختلاف أو التقليل من حدته، وهذا كفيل بإزالة التعصب والفيئة إلى الحق، إذا كان القصد إغاثة المسلمين ببيان تشريع مصالحهم الطارئة ((ابن عاشور، 2001: 165).

اعتمد ابن عاشور منهج الاستقراء في تكوين أسس علم المقاصد بالرجوع إلى كتب الأصول ومصادر الشريعة، مستخرجًا به الأساس الأول وهو أنّ المقصد العامّ من التشّريع فيها هو حفظ نظام الأمة، واستدامة صلاحه بصلاح المهيمن عليه، وهو الإنسان؛ وهذا واضح في استدلالاته بالنصوص من القرآن والسنة؛ وإذا أردنا أن نلُخّص منهج ابن عاشور في تأسيس علم المقاصد يمكن القول أنهّ بدأ باستخلاص المقاصد من أصول الفقه، وعاد إلى مصنفّات كُتبت في المقاصد ينتقي منها أفكارًا يؤُيدّها، وأخرى ينُاقشها وينقدها، فكانت ثنائيّة التأييد

والمناقشة إحدى مرتكزات علم المقاصد عنده، كذلك المنهج الاستقرائي له حضور واضح في الكتاب، وإسهام بارز في تأسيس هذا العلم، ثم نجد سوْق الأمثلة والحرص على وضع المفاهيم، وتبويب المسائل وتقعيد القواعد (قراوي، 2017: 269).

رؤية ابن عاشور المقاصدية في مجال التربية والتعليم:

اهتم ابن عاشور بإصلاح وتجديد التعليم باعتباره أساسًا في البناء والتغيير، فقد كرس العلامة محمد الطاهر بن عاشور حياته كلها للتجديد والإصلاح في مختلف المجالات والميادين، إلا أن مشروعه الإصلاحي تركز كثيرًا على ميدان التعليم، فقد أحدثت آراؤه الإصلاحية في هذا المجال نهضة في علوم الشريعة والتفسير والتربية، وكان لها أثرها البالغ في استمرار جامع الزيتونة في العطاء والريادة (التكوري، 63:2017).

في كتابه: "أليس الصبح بقريب" أورد ابن عاشور خمسة عشر سببًا أدت جميعًا إلى تدهور التعليم وفساده (ابن عاشور، 2006: 119-100)، وجميع هذه الأسباب تدخل في فئتين: الأسباب التاريخية العامة والتي ترجع إلى تأخر المسلمين عمومًا في شتى مناحي الحياة والحضارة، والأسباب الاجتماعية الناشئة عن تغير أنظمة الحياة الاجتماعية على المستوى العالمي، ونتج عنه تغير في الأفكار والأغراض والقيم العقلية، وهذا الأخير أدى إلى تغير أساليب التعليم (ابن عاشور، 2006: 100)، من بين أسباب تدهور التعليم وأبرزها، قصور التعليم عن العناية بالجوانب التربوية والأخلاقية التي من شأنها أن ترقى بحياة المتعلم، وتسعد روحه، كما تحفظ على الأمة كيانها وتماسكها (التكوري، 66:2017).

المبحث الثاني: الإصلاح الإداري التربوي وفق الرؤية المقاصدية لابن عاشور ومنطلقات الإصلاح الإداري التربوي عند ابن عاشور:

لكي ينجح التأصيل في علم الإدارة التربوية يلزم أصحاب هذا الاتجاه دراسة ونظريات ومبادئ الإدارة التربوية التي نشأت وتراكمت في البيئة الغربية ونقدها وتصحيحها وتعديلها، ونقد وتقويم السلوكيات الحالية للإدارة التربوية، ومحاولة قواعد وأدله إجرائية يسير عليها المختصون في علم الإدارة التربوية وتسهل اتخاذ القرارات (الحلواني، 2008: 249- 248).

والتعليم إذا أُحسن استغلاله أدى إلى تأسيس نظام تربوي ناجح وكفء يلبي احتياجات المجتمع ويؤهله للتقدم الاجتماعي والاقتصادي والسياسي والاشتراك في مضامين التقدم الحضاري؛ إلا إن ثمة اتفاق واسع النطاق على أن النظم التربوية في العالم العربي والإسلامي مازالت بحاجة ماسة إلى الإصلاح والتغيير والتطوير (أبو لبن، 2011: 2).

أهمية المقاصد في الإدارة التربوية:

إن مقاصد الشريعة ذات طابع شمولي تتجه نحو تحقيق الصالح الخاص للفرد والصالح العام للمجتمع والبشرية على حد سواء (شلحة، 2012: 22)، ولا شك أن ابن عاشور في ضوء ما تقدم قد أرسى بوضوح جلي الأسس المقاصدية للتربية والتعليم، وهي الأسس نفسها التي ينبغي أن تستند إليها الإدارة التربوية،

ولقد تعرض ابن عاشور لمسألة واقع النظام التعليمي في عصره في كتابه: "أليس الصبح بقريب"، حيث انتقد حالة نظام التعليم في جامع الزيتونة، والتي أدت إلى نقص فنون كثيرة، وضعف فنون أخرى، وتفاوت تلاميذ في المرتبة الواحدة، وغيرها من أوجه القصور والعيوب

(ابن عاشور، 131:2006)؛ ناهيك وقد جاءت الشريعة لتحكم سير الحياة الإنسانية في كل زمان ومكان، ولضبط الحياة الفردية والأسرية، والاجتماعية، والدولية، وهذا ما لن يتأتى تحقيقه بدون الوعي بمقاصدها وغاياتها الشمولية.

وإصلاح النظام التربوي بكل مقوماته ومكوناته وعلى رأسها المعلمين والمربين، فلابد وأن يستند هذا النظام في خططه وأهدافه إلى علم مقاصد الشريعة؛ فبمعرفتها يتمكن هذا النظام من بيان وترسيخ المقاصد والأهداف الجليلة للشريعة الإسلامية، من خلال عمليات التهذيب والتربية والتعليم الموجهة ناحية الفرد (الرماني، 1995: 25-24).

يرى الباحث أن أهمية مقاصد الشريعة بالنسبة للإدارة التربوية لا تختلف عما سبق بيانه بشأن أهمية المقاصد عمومًا، وهي الأهمية التي اتضحت في رؤية ابن عاشور للمقاصد العليا للقرآن الكريم، ابتداءً من مسؤولية كل شخص في موقعه عن غيره، الوالد تجاه ولده، ومسؤولية المعلم تجاه تلاميذه، ومسؤولية السلطة المعنية بالتعليم على عملية التعليم والقائمين عليها؛ وما لم تتضح هذه المقاصد للقائمين على الإدارة التربوية، فإنه سيكون من الصعب تحقيق أهداف التعليم وغاياته وفق الرؤية القرآنية، وما لم تتسلح الرؤية الشرعية بإدراك تلك المقاصد، فإنها لن تكون بمنأى عن الانحرافات التي تحيد بعملية تطبيقها عن جادة الهدي القرآني القويم.

مفهوم الإصلاح عند ابن عاشور وعلاقته بكل من الإدارة والتربية:

إن ابن عاشور يؤكد على أن صلاح التعليم من مميزات الأمم؛ وأنه ما ميز الأمم بعضها من بعض العادات واللغات، وما هي إلا تعليمات نشأت عن أصول تعاليم البشر، فبحسب ارتقاء عاداتهم ولغاتهم يكون تفاضلهم، ثم يكون التفاضل بالأديان فإنها تزجي إلى مبدأ واحد (ابن عاشور، 2006: 10-9).

بيد أن رؤية ابن عاشور ومفهومه للإصلاح وعلاقة الإصلاح بالتعليم تتضح كثيرًا في ضوء اتصال هذه القضية برؤيته المقاصدية؛ فقد أوضح ابن عاشور في مقدمة تفسيره: "التحرير والتنوير" أن من المقاصد العليا لنزول القرآن إصلاح الأحوال الفردية والجماعية والعمرانية للناس كافة؛ فالقرآن أنزله الله تعالى كتابًا لصلاح أمر الناس كافة؛ رحمة لهم، لتبليغهم مراد الله، فكان المقصد الأعلى منه صلاح الأحوال الفردية والجماعية والعمرانية (ابن عاشور، 1984: 1/38).

يبين ابن عاشور أن المقصود من صلاح الأحوال الفردية والجماعية والعمرانية يبدأ من الجانب التربوي والأخلاقي الذاتي، فالإصلاح يجب أن يبدأ من الفرد، ويعتمد على تهذيب النفس وتزكيتها، ورأس الأمر فيه صلاح الاعتقاد، وأما الصلاح العمراني فهو أوسع من ذلك، إذ هو حفظ نظام العالم الإسلامي، وضبط تصرف الجماعات والأقاليم بعضهم مع بعض على وجه يحفظ مصالح الجميع

(ابن عاشور، 1984: 1/38).

وعليه، فإصلاح الاعتقاد وتعليم المنهج الصحيح هو من المقاصد الأصلية التي جاء القرآن لتبيانها، وهو من أعظم الأسباب لإصلاح الخلق كما يرى ابن عاشور؛ لأنه يزيل عن النفس عادة الإذعان لغير ما قام عليه الدليل، ويطهر القلب من الأوهام الناشئة عن الإشراك والدهرية وما بينهما

(ابن عاشور، 1984: 1/40).

وأكد ابن عاشور على أن أعظم ما قصد إليه الإسلام من دعوته إلى مكارم الأخلاق وتهذيبها هو العناية بتربية النفس وإكمالها، وتدريبها على متابعة الهدى والإرشاد، الذي يشهد العقل السليم بحقيقته وصلاحه ونفعه، فذلك الإرشاد يتلقاه المسلم من الهدى الديني المعرب عن الإرشاد

(التكوري، 71:2017).

المطلب الثاني: منطلقات الإصلاح الإداري التربوي عند ابن عاشور:

من أهم أسس منطلقات ابن عاشور المقاصدية في إصلاح التعليم، اعتبارية المعلم والمربي وأهمية تأهيله تأهيلاً متكاملاً؛ ليكون قادرًا على أداء دوره ورسالته الإصلاحية؛ فإصلاح حال المعلمين والمربين ركن عظيم من إصلاح التعليم، فإنه إذا صلح التعليم صلح المعلمون (ابن عاشور، 2006: 198).

وقد حدد ابن عاشور عدة منطلقات لإصلاح الإدارة التربوية في ضوء رؤيته لمقاصد الشريعة الإسلامية، اختار الباحث أربعة من تلك المنطلقات، بغية التعرف على ما يمكن أن تساهم به هذه المنطلقات الأربعة في حال أمكن العمل بموجبها في إصلاح الإدارة التربوية في المملكة:

١. الشمولية والعالمية:

إن مفهوم الإصلاح عند ابن عاشور نابع من المعنى اللغوي السليم ذو الطابع الشمولي المجرد الذي يكون فيه: "الإصلاح ضد الفساد، وهو جعل الشيء صالحًا، يقال: صَلُحَ بعد أن كان فاسدًا، ويقال صَلُحَ بمعنى وجوده من أوّل وهلة صالحًا، فهو موضوع للقدر المشترك" (ابن عاشور، 1984: 1/285).

تتبين الرؤية الشمولية والعالمية في مفهوم ابن عاشور للإصلاح من حيث لم يقيده بجانب ما من جوانب الحياة والواقع؛ بل هو إصلاح شمولي يشمل جميع تلك الجوانب؛ وهذا ما أشار إليه ابن عاشور في تفسيره بقوله: "جميع الإصلاح، فيشمل إصلاح ذواتهم – وهو في الدرجة الأولى، ويتضمن ذلك إصلاح عقائدهم وأخلاقهم بالتعليم الصحيح والآداب الإسلامية ومعرفة أحوال العالم، ويتضمن إصلاح أمزجتهم بالمحافظة عليهم من المهلكات والأخطار والأمراض وبمداواتهم، ودفع الأضرار عنهم بكفايتهم من الطعام واللباس والمسكن بحسب معتاد أمثالهم، ويشمل إصلاح أموالهم بتنميتها وتعهدها وحفظها"

(التكوري، 74:2017).

على أن يتم الإصلاح على كافة المستويات الفردية والجماعية والعمرانية؛ فالإصلاح الفردي يقتضي تهذيب النفس وتزكيتها، ابتداءً بإصلاح الاعتقاد الذي هو مصدر الآداب والتفكير، ثم إصلاح التفكير، ثم إصلاح

السريرة الخاصة، وهي العبادات الظاهرة والباطنة؛ أما الإصلاح المجتمعي فجذره هو إصلاح الفرد وتحقق صلاحه، فلا يصلح المجموع إلا بصلاح أجزائه، وبذلك يمكن ضبط تصرف الناس بعضهم مع بعض في المعاملات أو السياسة المدنية؛ ثم على ذلك يقوم إصلاح العمران، والذي يمتد إلى أن يشمل حفظ العالم الإسلامي والجماعات والأقاليم الداخلة فيه (ابن لحسن، 2012: 30-29)

٢. ربط التعليم بالقيم الأخلاقية سلوكًا عمليًا:

يؤكد ابن عاشور أن تعاليم الدين الإسلامي هي أصل الأخلاق التي تتحول بفعل الممارسة والاستدامة عليها أخلاقًا راسخة لطائفة من النّاس تعتنق ذلك الدين، وأصل الأخلاق لدى المسلمين: المبدأ الإسلاميّ، أي عقيدة التّوحيد، وما جاء به الرسول محمد، من عملٍ بمكارم الأخلاق، وإتمام لها، ونجد الصورة الحية لهذه الأخلاق في سيرة النّبي، كما نجدها في سير أفاضل المسلمين

(ابن عاشور، 1985: 8-7).

أقام ابن عاشور نظرية جامعة في الإصلاح القيمي والتربوي والديني والاجتماعي– السياسي، والمنطلق الأساس لهذه النظرية، هو: القيم الأخلاقيّة والعمرانيّة المؤسسة في الفطرة بفعل التّكوين الأصلي، وبفعل التّكوّن التاريخي والاجتماعي الصالح لحياة المجتمع وازدهاره العمراني، وحيث إن حياة المجتمع – كحياة الفرد – من حيث خضوعها لمبدأ النمو والتطور وتنوع الحاجات الوظيفية وتجددها

(الجليدي، 2017: 37).

إنّ الطّريق إلى الإصلاح الاجتماعيّ وبناء النّظام الاجتماعيّ، يمرّ عبر إصلاح الأخلاق الفرديّة التي يتكفّل بها النّظام الدّينيّ عقيدة وشريعة؛ فلمّا كان العالم مركّبًا من آحاد النّاس، ومملوءً بأفعالهم، وهم يقتربون ويبتعدون من هذه الدّرجة بمقدار نفوذ سلطان الدين إلى نفوسهم ومساعيهم، كان إصلاحه غير حاصلاً بإصلاح أجزائه القابلة للإصلاح، وهو: إصلاح نفوس آحاد النّاس؛ إذ كما كان المبنيّ على الفاسد فاسدًا، يكون المبنيّ على الصّالح صالحًا، ثمّ يلزم أن يكون صلاح الآحاد متماثّلاً في أصوله؛ ليمكن التّعاشر والتّآلف، فإنّ الاختلاف في أصول الأحوال النّفسانيّة يجرّ إلى تعذّر الائتلاف

(ابن عاشور، 1985: 11-10).

يتبين المنطلق القيمي والأخلاقي عند ابن عاشور من المعاني المتعددة التي حددها للتربية؛ فهي بطبيعتها العامة تبليغ الشيء إلى كماله تدريجيًا، وهي في معناها التطبيقي والإجرائي كفالة الصبي وتدبير شؤونه؛ وهي في أصول الأخلاق تلك التربية الصحيحة التي تأتي إلى النفوس بالحيلولة بينها وبين خواطر الشرور؛ لأن الشرور إذا تسربت إلى النفوس تعذر أو عسر اقتلاعها منها، وكانت الشرائع تحمل الناس على متابعة وصاياها بالمباشرة، فجاء الإسلام يحمل الناس على الخير بطريقتين: طريقة مباشرة، وطريقة سد الذرائع الموصلة إلى الفساد، وغالب أحكام الإسلام من هذا القبيل (التكوري، 72:2017).

٣. البناء المهارى لأنواع التفكير (التحليلي، النقدي، الابتكاري):

فقد وصل اجتهاد ابن عاشور إلى التأكيد الجوانب المهارية المتعلقة بالتفكير، وكيف ينبغي أن يتم تدريب المعلم والمتعلمين على أنماط مختلفة من التفكير تتلاءم مع أحوال العلوم واختلاف خصوصياتها، ما جعل البناء المهاري لأنواع التفكير أحد أهم منطلقات مشروعه الإصلاحي، متصلاً برؤيته المقاصدية، وتوجهاته التربوية (الأجورني، 2017: 127).

لقد أدرك ابن عاشور أن غياب مهارات التفكير المختلفة في بنية النظام التعليمي والتربوي السائد في عصره كان سببًا من أسباب فساد ذلك النظام، الأمر الذي ينسحب على كافة عناصر ومكوناته

(الإدارة، المعلم، المنهج، المعلم)؛ فقد قام التعليم حينها على سلب حرية النقد والاعتماد على النقل والتسليم، حتى أصبح من الهنات عدم الرضا بما يقول المؤلفون، وفرض على الجميع الامتناع عن البحث في الأصول التي تلقاها العلماء جيلاً بعد جيل واعتمادها بالقبول التام، مما حال دون نقدها في أدنى مراحل التعليم ناهيك عن مراحله المتقدمة، وهذا بدوره أقصى العقول عن جادة الابتكار، وحال دون ممارستها لأسس التحليل والاستقراء والاستنباط والنقد والتصويب (عبداللاوي، 2017: 287-286).

عدَ ابن عاشور التقليد والركود والجمود آفة أصابت الأمة الإسلامية في فكرها وتعليمها، وأدت إلى ركودها إلى انحطاطها؛ لأنها قمعت حرية التفكير، وحالت دون تشجيع نزعة التحليل والنقد والابتكار والإبداع والتجديد، من حيث اعتبر القائمون على التعليم آنذاك أن ما لديهم بلغ حد الكمال، متجاهلين أثر تبدل الأزمان والعصور، وأكد على ضرورة الخروج من هذا الوضع الراكد بربط التعليم بتطوير أدوات ومناهج التفكير، وجعلها مندمجة مع المناهج التعليمية، وسائرة معها بالتوازي نظرية وتطبيقًا؛ فكان إهمال التمرين والعمل بالعلم والمعلومات كما هو غاية كل علم سببًا عائقًا دون التقدم والنهوض، وعاملاً من عوامل التخلف والتأخر، وأحد دوافع الإصلاح (ابن عاشور، 2006: 112).

كما أكد ابن عاشور ضرورة أن يكون البناء المهاري لأنواع التفكير مرتبطًا بطبيعة العلوم، ومنسجمًا مع حاجة كل علم بالنسبة لمن يعلمه ومن يتعلمه، دون التقليل من قيمة علم بالنسبة للعلوم الأخرى، منتقدًا هجرة رجال عصره لبعض العلوم، كالفلسفة، والمنطق، والهندسة، وسائر العلوم البرهانية، مستبقين علوم السلف دون أن يمارسوا عليها أي نقد أو تحليل أو تجديد وابتكار (ابن عاشور، 151:2006).

٤. المزج بين النمط الأوروبي في التنظيم والأصالة الإسلامية في المحتوى:

- نظر ابن عاشور إلى الأمم الأخرى نظرة موضوعية، جعلته ينظر إلى التعدد والتباين بين الأمم باعتباره سنة من سنن الخالق – عزَّ وجل– أودعها في فطرة البشر، مع التأكيد على دور التعليم في تعزيز وترسيخ ذلك التباين والاختلاف، وفي كونه يعود إلى أصل واحد أصيل ومشترك؛ فصلاح التعليم هو ميزة جوهرية من مميزات الأمم على اختلاف عاداتها ولغاتها،

وبحسب ارتقاء البشر في عاداتهم ولغاتهم يكون تفاضلهم، ثم يكون تفاضلهم في الأديان، فإنها تزجي لمبدأ واحد، وعادات واحدة
(ابن عاشور، 10:2006).

يتبين وجه المعاصرة عند ابن عاشور في تأكيداته الرصينة على ضرورة الأخذ بعوامل النهوض والمحافظة على قداسة النص الديني؛ فأقبل بنحو شديد على الاستزادة من العلوم الأوروبية، وكان له سعيه الحثيث لإدخالها إلى مناهج التعليم في جامع الزيتونة في وقت لم تكن فيه أي جامعة من جامعات العالم الإسلامي قد تبنت نهج دمج العلوم القديمة مع الحديثة؛ فلقي في ذلك ما لقى، وكانت حجته في ذلك ما سنَّه الإمام محمد عبده الذي جسد بشخصه وفكره المثال الذي كان يتطلع إليه ابن عاشور، كما أن مشاركته في المؤتمرات الاستشراقية في الوقت الذي كانت فيه أقلام المسلمين لا تكتب إلا عن مكر المستشرقين ودسائسهم، وأهدافهم الصليبية والاستعمارية، فلم تسع إلى فهم الفكر الاستشراقي وطبيعة مناهجه (الكودي، 2001: 16).

انطلاقًا من ذلك، أكد ابن عاشور على أن العلوم الغربية يمكن أن تسهم في تحقيق أهداف الإصلاح، سواء في إصلاح المعلم، أو إصلاح المتعلم، أو إصلاح المناهج، أو إصلاح جهات الإشراف على التعليم، ومؤكدًا على أهمية الإفادة من التقدم الغربي من الناحية المؤسسية والرقابية، مشيرًا إلى دور الأكاديميات التي نشأت في الغرب في تحقيق أهداف الرقابة على النظم التعليمية
(ابن عاشور، 102:2006).

المبحث الثالث: منطلقات التغيير والتطوير الإداري والتربوي في التعليم السعودي وإصلاح التعليم في رؤية المملكة العربية السعودية 2030:

عنت رؤية المملكة 2030 بالتربية والتعليم والآنموذج الذي ينبغي أن يكونا عليه في المستقبل القريب والمتوسط، فجاءت مضموناتها متماشية مع ما تطمح إليه المملكة في هذا الشأن، من حيث النتائج والمخرجات، مما يوحي بشكل واضح بأن إصلاح الإدارة التربوية لابد وأن يكون أحد أهم مداخل تحقيق الرؤية وصنع المستقبل المنشود؛ إذ تتوافق رؤية المملكة مع ما قامت عليه رؤية ابن عاشور الإصلاحية، من حيث إنهما انطلقا من الدين الإسلامي والشريعة الإسلامية السمحاء في بناء الرؤيتين؛ فقد أكدت رؤية المملكة 2030 على أن الإسلام ومبادئه يمثل منهج حياة، وهو المرجع الرئيسي في كل الأنظمة والأعمال والقرارات والتوجهات؛ لقد أعزنا الله بالإسلام وبخدمة دينه، وتأسيًا بهدي الإسلام في العمل والحث على إتقانه، ستكون نقطة انطلاقتنا نحو تحقيق هذه الرؤية هي العمل بتلك المبادئ، وسيكون منهج الوسطية والتسامح وقيم الإتقان والانضباط والعدالة والشفافيّة مرتكزاتنا الأساسية لتحقيق التنمية في شتّى المجالات (رؤية 2030: 16).

تهدف رؤية المملكة إلى الارتقاء بالتعليم ورفع مستوى جودة المخرجات وتحقيق مؤشرات أداء عالية تساهم بوضع المملكة في مصاف الدول المتقدمة في التعليم؛ وهو ما دفع وزارة التعليم لمواكبة الرؤية من خلال وضع أهداف وخطط وبرامج نوعية شاملة تضمنت تدريب الكادر التعليمي, وتطوير البيئة المدرسية والتقنية

والمناهج، وتعزيز المبادرات والبرامج الإثرائية, وإشراك الأسرة والمجتمع، وأيضًا من خلال تعاون وتكاتف جميع أطراف العملية التعليمية, وخصوصًا المعلم الذي يأتي دوره كشريك أساسي يحمل على عاتقه مسؤولياته وواجبه المهني والوطني للسير نحو تحقيق الرؤية ونهضة الوطن
(مكتب التربية العربي لدول الخليج، 2017، موقع إلكتروني).

وتضمنت الرؤية ربطًا جوهريًا بين المناهج وعلوم ومستجدات العصر والتطور التكنولوجي، وكذلك رؤية سوق العمل، بحيث ترتبط مناهج التعليم بمختلف مراحلها بإعداد خريج يكون مشاركًا في التنمية نتيجة حصوله على تعليم يتوافق مع متطلبات سوق العمل، ونشر نتائج المؤشرات التي تقيس مستوى مُخْرَجَات التعليم بشكل سنوي، والعمل مع المتخصصين لضمان مواءمة مُخْرَجَات التعليم مع متطلبات سوق العمل (ابن جريس، 2018، موقع إلكتروني).

تلتقي رؤية المملكة 2030 مع رؤية ابن عاشور الإصلاحية، في اعتبار مرجعية الدين الإسلامي الجوهرية للتعليم، مع التأكيد مبدأ الوسطية والاعتدال أحد أهم أركان الرؤية المقاصدية التي قدمها ابن عاشور، والتي أكد فيها على أن قوام الصفات الفاضلة هو التوسط والاعتدال والسماحة وسهولة المعاملة والنظر إلى الأمور بنظرة وسطية والتعامل مع الآخرين بنفس النظرة، فهي وسط بين التضييق والتساهل، وبين الإفراط والتفريط (ابن عاشور، 2001: 268).

كما تتفق منطلقات الإصلاح والتطوير التعليمي والتربوي برؤية المملكة 2030 مع رؤية ابن عاشور الإصلاحية في التأكيد أن إصلاح الفرد لا يكون إلا بتعليمه وتهذيبه وتأهيله عقديًا وأخلاقيًا وفكريًا، كأساس لإصلاح المجتمع، وبالتالي فإن فكرة المجتمع الحيوي يمكن أن تستند إلى توجهات شاملة وخطط متكاملة لإصلاح نظام الإدارة التربوية على نحو يستند فيه إلى مقاصد الشريعة الإسلامية
(ابن عاشور، 1985: 52-45).

مما سبق يمكننا القول: إن رؤية المملكة 2030 أولت اهتمامًا بالغًا بمجال التعليم، وأعطت أولوية لعدد من العناصر المكونة لنظام التعليم في المملكة، باعتبارها المداخل الرئيسية لكافة التوجهات الرامية إلى إصلاح وتطوير نظام الإدارة التربوية في إطار الاستراتيجيات التنموية والمستقبلية التي حددتها رؤية المملكة 2030، وقد اختار الباحث أربعًا من تلك الركائز للبحث فيما يمكن أن تساهم به في إصلاح الإدارة التربوية في المملكة وهي (القيادة، والبيئة، والمعلم ،والمستجدات العالمية).

الدراسات السابقة:

من خلال الجولات البحثية التي قام بها الباحث في المكتبات ومراكز البحوث والمواقع الإلكترونية، لم يتسن الوصول إلى أي دراسات سابقة عنت بموضوع مقاصد الإدارة التربوية عند ابن عاشور، ولكن تم التوصل إلى مجموعة من الدراسات التي عنت بالإدارة التربوية في الفكر الإسلامي والإصلاح الإداري التربوي نذكر منها علي سبيل المثال:

١. دراسة (التكوري، 2017): بعنوان: ملامح الإصلاح التربوي في تفسير ابن عاشور": هدف البحث إلى إبراز ملامح الإصلاح التربوي في تفسير ابن عاشور، والكشف عن بعض الخفايا والأسرار المتعلقة بالجانب التربوي في تفسيره، وقد توصل البحث إلى عدد من النتائج أهمها: إن القرآن الكريم يحوي منهجًا تربويًا كاملاً صالحًا لكل عصر وجيل، وهو الأصلح للبشر، وإن اهتمام علماء التفسير بالجانب التربوي في تفسير القرآن الكريم في ثنايا تفاسيرهم لا يقل أهمية عن عنايتهم بالجوانب الأخرى.

٢. دراسة (عبداللاوي، 2017): بعنوان: "إشكالية إصلاح التعليم من خلال "أليس الصبح بقريب" لمحمد الطاهر ابن عاشور": هدف البحث إلى التعريف بالفكر التربوي الذي صاغه ابن عاشور في ضوء رؤيته المقاصدية والإصلاحية في كتابه: "أليس الصبح بقريب وخلص البحث إلى عدد من النتائج التي أشار في أهمها أن أفكار ابن عاشور الإصلاحية قدمت في عصرها رؤية واضحة وشاملة لإصلاح المنظومة التعليمية من كافة الأبعاد وفق رؤية مقاصدية تعيد الاعتبار إلى الفكر المقاصدي في الإسلام، باعتباره المنطلق لكل التوجهات الرامية إلى معالجة مظاهر الاختلال في نظام التعليم.

٣. دراسة (قراوي، 2017)، بعنوان: "الرؤّية المقاصديةّ عند ابن عاشور من خلال كتابه مقاصد الشريعة الإسلامية": هدف البحث إلى التعرف على الرؤية المقاصدية عند ابن عاشور في كتابه الشهير: "مقاصد الشريعة الإسلامية"، ومن أهم نتائج البحث، أن نظرية المقاصد كما وظّفها ابن عاشور تهتم بالشريعة في كلياتها وغاياتها الإجمالية...، وبذلك تتوسع دائرة التشريع بشكل كبير، ويصبح مدار إجراء الأحكام ما تلاءم مع المقاصد العامة للتشريع.

٤. دراسة (الأجورني، 2017)، بعنوان: "مقاصد الشريعة وأهدافها وكيفية تفعيلها في المناهج الدراسية": هدفت الدراسة إلى التعريف بمقاصد الشريعة، واستعراض واقع المناهج الدراسية في مؤسسات التعليم الديني الأساسي والمتوسط، وكيفية ربطها بمقاصد الشريعة وتفعيلها فيها، وأكدت نتائج الدراسة على وجوب أن يحوي المنهج تبيانًا لمقصد الشريعة من حفظ الأموال ووسائل ذلك، معضدًا بالأدلة الشرعية، بأسلوب يسهل على التلميذ استيعابه؛ حتى يستطيع الدفاع عنه، وإزالة الشبه التي توجه إليه من قبل أعداء الشريعة؛ لكي تتمكن هذه المقررات من أن تخرج لجيلاً يحب الشريعة ويدافع عنها بما يملك من البراهين، معتزًا بتخصصه، الأمر الذي لا يمكن أن يتم ذلك بالمنهج وحده، بل بإيجاد الأستاذ الذي يستوعب ما يدرسه، ويتشربه لحمه ودمه، القادر أن يوصل هذه المقاصد مربوطة بالمقرر الدراسي.

٥. دراسة (الجليدي، 2017): بعنوان: "المشروع الإصلاحي في فكر الطاهر ابن عاشور– دور القيم والتربية في الإصلاح الاجتماعي من منظور مقاصدي عمراني": هدفت الدراسة إلى إبراز إشكالية علاقة الأخلاق والتربية بالدين، والقراءة المقاصدية للنص في فكر الشيخ الطاهر ابن عاشور، من أهم نتائج البحث أنه توجد – فعلًا – لدى الشيخ الطاهر بن عاشور نظرية إصلاحية حضارية أخلاقية–اجتماعية تشريعية، وهي تتخذ

أساسين لها: أساس ما– قبلي؛ هو أصل الخلقة والتكوين الجسماني والعقلي للبشر، وأساس ما– بعدي؛ هو ما أثبتت تجارب المجتمعات والأمم صحته وصلاحه؛ أي الجمع بين الطبيعة وطبائع العمران البشري،

٦. دراسة (سلمان، 2013)، بعنوان: "اجتهادات عمر بن الخطاب الإدارية في ضوء مقاصد الشريعة الإسلامية": هدفت الدراسة إلى التعرف على اجتهادات عمر بن الخطاب الإدارية في ضوء مقاصد الشريعة الإسلامية، وتقديم رؤية إدارية مقاصدية في ضوء اجتهادات العمرية لتحقيق مقاصد الشريعة الإسلامية، وقد بينت الدراسة وضوح شخصية عمر بن الخطاب الإدارية من خلال الاهتمام بالإدارة واستخدام الاجتهاد كأداة من أدواتها، وتأسيس نظام إداري للدولة يتسم بالمرونة ولا يتعارض مع ثوابت الشريعة ويهتم بالشورى مع مركزية القرار، ويتحلى بالواقعية والاعتماد على أصول الشريعة مع الاستفادة من الأنظمة الوضعية لدى الحضارات والثقافات الأخرى.

٧. دراسة (العيسى، 2009): بعنوان: "إصلاح التعليم في السعودية بين غياب الرؤية السياسية وتوجس الثقافة الدينية وعجز الإدارة التربوية": هدفت الدراسة إلى تحليل عوامل تعثر مشروعات إصلاح النظام التعليمي أو تطويره في المملكة، وفشل عشرات المشروعات التي انطلقت في ثلاثة عقود سابقة دون تحقيق أي إصلاحات ترجى، وقد أشارت نتائج الدراسة إلى أن فشل المشروعات الإصلاحية يعزى إلى كونها لم تصل في عمقها وجذورها إلى مشاكل النظام التعليمي وعلله، ولم تحاول مواجهة العوامل السياسية والإدارية والثقافية والاجتماعية التي تعوق عملية الإصلاح، وأن الإصلاح الحقيقي للنظام التعليمي في المملكة يحتاج إلى قرارات جريئة وحاسمة من القيادة العليا، تستند إلى رؤية واضحة ومشروع مستقبلي مختلف تمامًا عن المشاريع السابقة.

٨. دراسة (الحلواني، 1429– 2008): بعنوان: "منهجية التأصيل الإسلامي للإدارة التربوية": هدفت الدراسة إلى توضيح مفهوم التأصيل الإسلامي للإدارة التربوية والحاجة إليه، وتحديد أسس ومبادئ وضوابط ومعايير التأصيل أو التوجيه الإسلامي للإدارة التربوية ، ومن أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة، أن المقصود بتأصيل الإدارة التربوية هو إعادة صياغة مفاهيم الإدارة التربوية بما يوافق الشريعة، وأن التأصيل يسهم في تطوير الإدارة التربوية وفي إصلاح أحوال العالم الإسلامي، وأن الاتجاهان الأساسيان للتأصيل هما الاتجاه البنائي والاتجاه العلاجي.

٩. دراسة (السفياني 1434- 2014) بعنوان: الفكر المقاصدي وأثره في بناء النظرية التربوية الإسلامية "تصور مقترح": هدفت الدراسة إلى توظيف الفكر المقاصدي في إثراء النظرية التربوية الإسلامية من خلال استنباط المقاصد العليا للتربية الإسلامية، وتحديد دور الفكر المقاصدي في منظومة النظرية التربوية الإسلامية، ومحاولة بلورة نموذج مقاصدي في مجال التربية الإسلامية من خلال استنباط المقاصد العليا لها. ومن أهم النتائج التي خلصت إليها الدراسة، أن الفكر المقاصدي يمثل الآلة المنهجية التي نستطيع بواسطتها نقل المقاصد من إطار التنظير إلى إطار التطبيق، كما خلصت إلى أن الفكر المقاصدي يحدد

نقاط الالتقاء والتكامل بين كافة فروع المعرفة، وأن الفكر المقاصدي يقدم نظرة تربوية أكثر شمولاً وأكثر عمقًا، ويخرجها من دوامة الفلسفات على أفق أرحب يتسم بالخصوصية والوضوح والقابلية لاستيعاب القضايا التربوية.

موقع الدراسة الحالية من الدراسات السابقة:

ما سبق من دراسات تناولت جوانب عديدة أهمها الإصلاح التربوي والتعليمي في فكر ابن عاشور المقاصدي، ومناقشة أبعاد هذا المشروع ومدى قدرته على تكوين رؤية متكاملة يمكن الأخذ بها في إصلاح النظم التربوية، بينما تعرض البعض الآخر لجوانب وموضوعات ذات صلة من الناحية الفقهية والشرعية المتصلة من جانبها بالقضايا والممارسات الإدارية والقيادية في الإدارة التربوية، وبالرغم من أن الدراسات السابقة قد أولت اهتمامًا بفكر ابن عاشور الإصلاحي في مجال التربية والتعليم، إلا أنها لم تتطرق إلى قضايا الإصلاح الإداري التربوي من وجهة نظر ابن عاشور المقاصدية؛ في حين أن الدراسة الحالية تتجه نحو البحث في مسألة الإصلاح الإداري التربوي وفقًا لمقاصد الشريعة الإسلامية لدى ابن عاشور في ضوء رؤية المملكة العربية السعودية 2030، وهذا ما تتميز به الدراسة الحالية.

الدراسة التطبيقية:

قام الباحث بتطبيق أسلوب دلفاي لجمع وتحليل أراء الخبراء ، ومن ثم بناء التصور المستقبلي للإدارة التربوية.

وبناءً عليه جاءت آراء الخبراء بشأن درجة مساهمة منطلقات إصلاح الإدارة التربوية عند ابن عاشور: (الشمولية والعالمية، ربط التعليم بالقيم الأخلاقية سلوكًا، البناء المهاري لأنواع التفكير، المزج بين النمط الأوربي والأصالة الإسلامية) في تحقيق إصلاح الإدارة التربوية على النحو الآتي:

جدول رقم (1)
الدرجات الكلية لمنطلقات الإصلاح الإداري التربوي عند ابن عاشور

م	منطلقات ابن عاشور	المتوسط الحسابي العام	الانحراف المعياري
1	الشمولية والعالمية	4.33	0.96
2	ربط التعليم بالقيم الأخلاقية سلوكًا	4.65	0.45
3	البناء المهاري لأنواع التفكير التحليلي والنقدي والابتكاري	3.85	0.93
4	المزج بين النمط الأوروبي والأصالة الإسلامية	4.19	0.76
	الدرجة الكلية للمتوسط العام	4.25	0.77

وبالنظر لنتائج الجدول السابق يتبين أن المتوسطات الحسابية العامة جاءت على درجة موافقة عالية من قبل الخبراء، بلغت (4.25). وبالتالي فتطبيق منطلقات إصلاح الإدارة التربوية في رؤية ابن عاشور: (الشمولية والعالمية، ربط التعليم بالقيم الأخلاقية سلوكًا، البناء المهاري لأنواع التفكير، المزج بين النمط الأوربي والأصالة الإسلامية) يمكن أن يساهم بدور فاعل وقوي للغاية في تحقيق الإصلاح الإداري التربوي المنشود من وجهة نظر الخبراء والمتخصصين في مجال الإصلاح التربوي والتعليمي في المملكة العربية السعودية.

كما جاءت آراء الخبراء المشاركين حول درجة مساهمة ركائز رؤية المملكة 2030 في مجال التعليم: (القيادة، البيئة، المعلم، المستجدات العالمية) في تحقيق إصلاح الإدارة التربوية على النحو الآتي:

جدول رقم (2) الدرجات الكلية لركائز رؤية المملكة 2030			
م	ركائز رؤية المملكة 2030	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
1	القيادة	4.31	0.68
2	البيئة	3.74	0.81
3	المعلم	4.31	0.82
4	المستجدات العالمية	4.34	0.88
الدرجة الكلية للمتوسط العام		4.19	0.79

وبالنظر لنتائج الجدول السابق يتبين أن المتوسطات الحسابية العامة جاءت على درجة موافقة عالية من قبل الخبراء، بلغت (4.19)، وبالتالي فإن ركائز رؤية المملكة 2030 في مجال التعليم: (القيادة، البيئة، المعلم، المستجدات العالمية) من شأنها أن تساهم بفعالية في تحقيق إصلاح الإدارة التربوية وفق ما تعبر عنه النتائج الكلية لركائز رؤية المملكة 2030.

عند تطبيق مصفوفة دلفاي للكشف عن وجود علاقة ذات دلالة إحصائية بين منطلقات الإصلاح الإداري التربوي عند ابن عاشور وركائز رؤية المملكة العربية السعودية 2030 في تحقيق إصلاح الإدارة التربوية، والتحقق من وجود علاقة ذات دلالة إحصائية باستخدام معامل ارتباط بيرسون. جاءت النتائج كما يوضح الجدول الآتي:

جدول رقم (3) معاملات ارتباط بيرسون بين درجة مساهمة منطلقات إصلاح الإدارة التربوية عند ابن عاشور ودرجة مساهمة ركائز التعليم في ضوء رؤية المملكة 2030						
متغير ركائز رؤية المملكة 2030 / منطلقات ابن عاشور		ركائز التعليم في رؤية المملكة 2030				
		القيادة	البيئة	المعلم	المستجدات العالمية	الدرجة الكلية
منطلقات ابن عاشور	الشمولية والعالمية	0.724	0.927	0.847	0.745	0.810
	ربط التعليم بالقيم الأخلاقية	0.927	0.643	0.923	0.819	0.828

	سلوكاً					
	البناء المهاري لأنواع التفكير (التحليلي، النقدي، الابتكاري)	0.847	0.923	0.721	0.916	0.851
	المزج بين النمط الأوروبي والأصالة الإسلامية	0.745	0.819	0.916	0.755	0.808
الدرجات الكلية لمنطلقات ابن عاشور		0.810	0.828	0.851	0.808	0.824
درجة الارتباط الكلية						0.824

وبناءً على ذلك يتبين وجود علاقة ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة (0.01) بين منطلقات الإصلاح الإداري التربوي عند ابن عاشور وركائز رؤية المملكة العربية السعودية 2030 في تحقيق إصلاح الإدارة التربوية من وجهة نظر الخبراء، وذلك بقيمة معامل ارتباط بيرسون بلغت (0.824)، وهي قيمة تشير الى درجة ارتباط عالية.

نتائج الدراسة:

في ضوء معطيات الدراسة النظرية والتطبيقية، توصل الباحث إلى مجموعة من النتائج التي يمكن عرضها على نحو ما هو آتي:

[1] نتائج الدراسة النظرية:

١. إن المقاصد هي عبارة عن معانٍ يمكن إدراكها وفهمها من خلال فهم الحكم الشرعي، وفهم علته وربطها بما أراده الشارع الحكيم وقصده من تطبيق هذا الحكم؛ والمقاصد بذلك تشمل جميع أحكام الشريعة دون استثناء.
٢. إن اهتمام العلماء بتصنيف المقاصد الشرعية يهدف بالأساس إلى التعرف على العلاقة القائمة بين المقاصد ذاتها، وتمكين الشريعة من مسايرة مختلف التغيرات والتطورات المتلاحقة وتقويم الأحكام من حيث تطبيقها بناء على نظرة شمولية يزول بها الإيهام أو التوهم بأن تطبيق أي حكم قد حقق غاية الشرع لذاته، فضلاً عن أن المقاصد تبرز سماحة الإسلام وتيسيره على الناس وحرصه على دفع الحرج عنهم.

٣. إن الإصلاح الإداري التربوي هو عملية تجديد وتطوير وإعادة تأهيل لنظام الإدارة التربوية بصورة شاملة لكافة مكوناته وسياساته وأهدافه وأدواته وفق الفلسفة التربوية الإسلامية المستمدة من أحكام وتعاليم الشريعة الإسلامية ومقاصدها، والتي تحقق أهداف تنمية الفرد من كافة النواحي الأخلاقية والفكرية والعلمية؛ ليكون عنصرًا فعالاً في تنمية مجتمعه ووطنه وأمته، والارتقاء بها بشكل دائم ومستمر.

٤. إن ابن عاشور قد أقام منطلقات رؤيته الإصلاحية على قراءة مستفيضة وواسعة وذات طابع موسوعي لواقع الأمة في عصره من كل النواحي الاجتماعية والسياسية والفكرية والثقافية والاقتصادية، مع اطلاعه على ما كانت عليه حال الأمم الغربية من تقدم ونهوض؛ فأسس رؤية استراتيجية لإصلاح النظم التعليمية والتربوية في الأقطار الإسلامية، جوهرها علم المقاصد الشرعية، وقوامها الحاجة الدائمة إلى التجديد والتطوير والتغيير، والحد من عوامل التخلف والركود..

٥. إن رؤية ابن عاشور المقاصدية في مجال التربية والتعليم، تكشف بتفصيل واسع ودقيق لأبعاد رؤيته الإصلاحية للنظام التعليمي، شاملاً بذلك إصلاح الإدارة التربوية والتعليمية بالأساس، وهي رؤية قائمة على منهج القرآن الكريم والسنة النبوية، ومتصلة به وعاملة بموجبه، وساعية نحو غاياته الكبرى.

٦. إن أهمية مقاصد الشريعة بالنسبة للإدارة التربوية تتضح في رؤية ابن عاشور للمقاصد العليا للقرآن الكريم، من خلال التأكيد على مسؤولية السلطة المعنية بالتعليم على عملية التعليم والقائمين عليها؛ وما لم تتضح هذه المقاصد للقائمين على الإدارة التربوية، فإنه سيكون من الصعب تحقيق أهداف التعليم وغاياته وفق الرؤية القرآنية، وما لم تتسلح الرؤية الشرعية بإدراك تلك المقاصد فإنها لن تكون بمنأى عن الانحرافات التي تحيد بعملية تطبيقها عن جادة الهدي القرآني القويم.

٧. إن مفهوم الإصلاح عند ابن عاشور هو مفهوم شمولي يتجه إلى كافة نواحي وأبعاد ومكونات المجتمع الإسلامي، إلا إن علاقة هذا المفهوم بالتربية والتعليم هي علاقة جوهرية بالأساس، من حيث أن التعليم هو باب إصلاح الفرد، ولا صلاح للمجتمع إلا بإصلاح أفراده، فإذا كان نظام التعليم فاسدًا أو قاصرًا أو عاجزًا عن تحقيق مقاصد الشريعة العليا في بناء الإنسان وتأهيله أخلاقيًا وعلميًا وفكريًا، فلابد من إصلاح هذا النظام.

٨. إن البناء المهاري لأنواع التفكير في رؤية ابن عاشور الإصلاحية المقاصدية، يعد منطلقًا أساسيًا متصلاً بسائر المنطلقات التي أقامها، من حيث أنه يستند أساسًا إلى النظرة العقلية الفاحصة لمقاصد الدين، ومن ثم النظرة العقلية التي ينبغي أن يتحلى بها القائمين على الإصلاح التربوي والتعليمي، وهذا بدوره متصلاً بإصلاح التفكير، وإصلاح المعلم، إصلاح المدرسة، إصلاح المنهاج، إصلاح النظام التربوي، وهو بذلك منطلق يتسم بطابع شمولي؛ لأنه يستهدف إصلاح كافة الجوانب في كافة المستويات.

٩. إن رؤية ابن عاشور المقاصدية لإصلاح التعليم، يمكن أن تكون إطارًا يبنى عليه في تحقيق الإصلاح الإداري التربوي في المملكة العربية السعودية، لاسيما في ظل توجهات الإصلاح التي تبنتها رؤية المملكة 2030.

[2] نتائج الدراسة التطبيقية:

١. إن تطبيق منطلق الشمولية والعالمية في رؤية ابن عاشور يمكن أن يسهم بدور فاعل وبدرجة عالية في عمليات الإصلاح الإداري التربوي.

٢. إن إصلاح الإدارة التربوية هو الإطار الذي يمكن من خلاله إصلاح وترسيخ المعتقد الصحيح ،وإصلاح وتهذيب الأخلاق والتفكير، أي أن الإصلاح والبناء القيمي والأخلاقي هو الخطوة الأولى التي تمهد لتحقيق الإصلاح في المستوى المهاري والفكري.

٣. إن الانطلاق في إصلاح الإدارة التربوية من منطلق البناء المهاري لأنواع التفكير (التحليلي، النقدي، الابتكاري) على نحو ما أسست له رؤية ابن عاشور المقاصدية لابد وأن يسهم في تحقيق الإصلاح المنشود، بما ينعكس على كافة عناصر ومكونات منظومة الإدارة التربوية والتعليمية، وبالتالي على العملية التربوية والتعليمية بأسرها.

٤. إن تطبيق منطلقات إصلاح الإدارة التربوية في رؤية ابن عاشور:
(الشمولية والعالمية، ربط التعليم بالقيم الأخلاقية سلوكًا، البناء المهاري لأنواع التفكير، المزج بين النمط الأوربي والأصالة الإسلامية) يمكن أن يساهم بدور فاعل وقوي للغاية في تحقيق الإصلاح الإداري التربوي المنشود من وجهة نظر الخبراء والمتخصصين في مجال الإصلاح التربوي والتعليمي في المملكة العربية السعودية.

٥. إن تطوير التعليم في المملكة وبناء وتنمية القيادات التربوية بناءً على ما عبرت عنه ركيزة البيئة التعليمية في رؤية المملكة 2030 يمكن أن يساهم بدرجة مناسبة في إصلاح الإدارة التربوية.

٦. إن إعادة بناء وتنمية قدرات ومهارات المعلم يعد ركيزة أساسية وجوهرية في إصلاح التعليم في المملكة، في ضوء رؤية المملكة 2030، إن مواكبة المستجدات العالمية تعد ركيزة بالغة الأهمية من ركائز إصلاح وتطوير النظام التعليمي في ضوء رؤية المملكة 2030، لاسيما من خلال تطبيق المعايير العالمية الحديثة التي تقيس كفاءة العملية التعليمية والاستفادة منها في عمليات التطوير المختلفة.

٧. إن إصلاح النظام التعليمي لابد وأن يركز في الأساس على تأهيل المعلم تأهيلاً متكاملاً من كافة النواحي العلمية والقدرات والمهارات الفكرية والإبداعية، وتفعيل برامج

التدريب والتأهيل المستمر للمعلمين على أسس مخططة ومتناغمة مع الخطط التنموية للقطاعات الأخرى.

٨. إن ركائز رؤية المملكة 2030 في مجال التعليم:
(القيادة، البيئة، المعلم، المستجدات العالمية) من شأنها أن تساهم بفعالية في تحقيق إصلاح الإدارة التربوية.

٩. هناك علاقة ذات دلالة إحصائية بين منطلقات الإصلاح الإداري التربوي عند ابن عاشور: (الشمولية والعالمية، ربط التعليم بالقيم الأخلاقية سلوكًا، البناء المهاري لأنواع التفكير، المزج بين النمط الأوربي والأصالة الإسلامية)، وركائز رؤية المملكة العربية السعودية 2030: (القيادة، البيئة، المعلم، المستجدات العالمية)، في تحقيق إصلاح الإدارة التربوية من وجهة نظر الخبراء.

١٠. هناك توافق بين منطلقات الإصلاح الإداري التربوي عند ابن عاشور: (الشمولية والعالمية، ربط التعليم بالقيم الأخلاقية سلوكًا، البناء المهاري لأنواع التفكير، المزج بين النمط الأوربي والأصالة الإسلامية)، وركائز رؤية المملكة العربية السعودية 2030:
(القيادة، البيئة، المعلم، المستجدات العالمية) وجهة نظر الخبراء.

ثانيًا: التوصيات:

في ضوء النتائج السابقة، يمكن الخروج من الدراسة الحالية بمجموعة من التوصيات التي يمكن العمل بموجبها من قبل كافة الجهات المعنية، وهي على النحو الآتي:

١. استثمار التوجه الشمولي للقيادة الوطنية الحكيمة على نحو ما تجسده رؤية المملكة 2030 بالبحث في إمكانية إدراج رؤية ابن عاشور المقاصدية لإصلاح وتطوير التعليم.

٢. التوسع في دراسة وتطوير وتفعيل سبل وإجراءات تحقيق الرؤية المستقبلية التي قدمتها الدراسة، والتحول بها من المستوى النظري إلى المستوى العملي والتطبيقي.

٣. نشر وترسيخ الوعي والثقافة المقاصدية لدى كافة عناصر ومكونات النظام التربوي والتعليمي، وإدراجها بطرق وأساليب حديثة ومتطورة في كافة أدبيات ومناهج التعليم الوطني.

٤. القيام بدراسات مماثلة على المنطلقات الأخرى التي لم تتطرق إليها الدراسة الحالية من منطلقات رؤية ابن عاشور لإصلاح التعليم والنظام التربوي، وربطها بالركائز الأخرى من ركائز تطوير التعليم في الرؤية الوطنية للمملكة (رؤية المملكة 2030).

٥. تشجيع المختصين والخبراء في مجال الإدارة والتخطيط على القيام بتصميم رؤى وخطط وأطر وبرامج ومداخل علمية (تعليمية وتدريبية)، وعملية قابلة للإجراء والتطبيق تستهدف بناء وتنمية القيادات التربوية، البيئة التعليمية، المعلمين، من كافة النواحي القيمية والأخلاقية، والنواحي الفكرية ذات الطابع المهاري.

٦. توجيه الدوائر والهيئات التربوية المعنية بالموارد البشرية وبتدريب وتأهيل القيادات التربوية والمعلمين للقيام تصميم حقائب وبرامج تدريبية تهدف إلى تعزيز وعي وثقافة الكوادر التربوية بمنطلقات الرؤية المقاصدية التي قدمها ابن عاشور لإصلاح التعليم، مع التركيز على إصلاح القيادة التربوية وتطويرها وتنمية قدراتها ومهاراتها بناءً على ذلك، وفي ضوء رؤية المملكة 2030 في مجال تطوير التعليم.

٧. العمل على بناء وتنمية قيادات تربوية ومعلمين وبيئة تعليمية تؤمن بقيم التسامح والقبول بالآخر، والانفتاح على الثقافات والانجازات البشرية العالمية، وقادرة على تجسيد روح ومعاني الأصالة الإسلامية، فكرًا وسلوكًا.

٨. التأكيد دور الإعلام وتكنولوجيا الاتصال والمعلومات الحديثة في نشر وترسيخ الوعي والثقافة المقاصدية لدى كافة الأفراد في المجتمع، والإفادة من هذه الوسائل والآليات في تعزيز دور المؤسسات التربوية في إصلاح ذاتها بذاتها، واعتبار الإصلاح ضرورة قائمة في كل الأحوال، ولابد أن تكون عملية دائمة ومستمرة وغير متوقفة.

Recommendations:

Based on the previous findings, the current study can be concluded with a set of recommendations that can be implemented by all the concerned entities, which are as follows:

1. Investing in the holistic orientation of wise national leadership, as embodied in the Saudi Vision 2030, by investigating the possibility of incorporating Al-Rrwya Al-Maqasidia (Purposeful Approach) by Ibn Ashur's for educational reform and development.
2. Expanding on the study as well as developing and utilizing methods and procedures for achieving the study's future vision, and transforming it from being on a theoretical level to the practical and applied levels.
3. Spreading and consolidating the awareness and purposeful approach among all elements and components of the educational system, as well as including modern and advanced means and methods in all national education literature and curricula.
4. Conducting similar studies on other premises from Ibn Ashur's approach for education reform and the educational system that the current study did not address, and linking them to other pillars of education development in the Kingdom's national vision (Saudi Vision 2030).
5. Encouraging management and planning specialists and experts to create visions, plans, frameworks, programs, and scientific (educational and training) approaches, as well as a process that can be conducted and applied with the aim of creating and developing educational leaders, the educational environment, and teachers; in all aspects of values, ethics, and the intellectual elements of a skill nature.
6. Directing educational departments and bodies concerned with human resources and training, as well as training educational leaders and teachers, in order to develop training packages and programs aimed at enhancing educational staff's awareness and culture on the premises of Ibn Ashur's Purposeful Approach for education reform, with a focus on reforming and developing educational leadership and promoting its capabilities and skills in accordance with the Kingdom's Vision 2030 for educational development.
7. Working on building and developing educational leaders, teachers, and an educational environment that values tolerance and acceptance of others, openness to global cultures, and human achievements, and is capable of embodying the spirituality and meanings of Islamic authenticity conceptually and behaviorally.

Emphasizing the role of media as well as information and communication technology in spreading and consolidating awareness and the purposeful approach among all individuals in society, and benefiting from these means and mechanisms in enhancing the role of educational institutions in reforming itself, and considering reform as a necessity that exists in all cases, and it must be a permanent and continuous process that is unstoppable.

المراجع:

١. ابن جريس، حياة بنت فارس، التعليم في رؤية المملكة 2030، 20 أبريل 2018، متاح على الرابط الالكتروني:http://www.alriyadh.com/1676329- 25 Dec 2018

٢. ابن عاشور، محمد الطاهر (1984). التحرير والتنوير– تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد. تونس: الدار التونسية للنشر.

٣. ابن عاشور، محمد الطاهر (1985). أصول النظام الاجتماعي في الإسلام. (ط2). تونس: الشركة التونسية للتوزيع.

٤. ابن عاشور، محمد الطاهر (2001). مقاصد الشريعة في الإسلام. تحقيق ودراسة: محمد الطاهر الميساوي. (ط2). الأردن: دار النفائس للنشر والتوزيع.

٥. ابن عاشور، محمد الطاهر (2006). أليس الصبح بقريب– دراسة تاريخية ورؤية إصلاحية. (ط1). القاهرة: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة.

٦. ابن لحسن، بدران (1434 – 2012). ابن عاشور وإعادة الاعتبار للقول الكلي في الفكر الإسلامي. مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية. دبي: العدد (44).

٧. أبو حسان، جمال محمد (1430 – 2009). الإمام محمد الطاهر بن عاشور– سيرة ومواقف. المجلة الأردنية للدراسات الإسلامية. المجلد (5). العدد (2/أ).

٨. أبو لبن، غادة فتحي (2011). أولويات الإصلاح المدرسي كما يراها مديرو المدارس الثانوية بمحافظات غزة وسبل تحقيقها. غزة: رسالة ماجستير. الجامعة الإسلامية.

٩. الأجورني، حمزة أبو فارس (2017). مقاصد الشريعة وأهدافها وكيفية تفعيلها في المناهج الدراسية. مجلة أصول الدين. كلية الدعوة وأصول الدين بالجامعة الأسمرية الإسلامية. العدد (2). مايو.

١٠.الاستراتيجية الوطنية لتطوير التعليم العام (1428– 2007). وزارة التربية والتعليم– مشروع الملك عبدالله بن عبدالعزيز لتطوير التعليم العام.

١١.التكوري، ناجي فرج (2017). ملامح الإصلاح التربوي في تفسير ابن عاشور. مجلة أصول الدين. كلية الدعوة وأصول الدين بالجامعة الأسمرية الإسلامية. العدد (3). يونيو.

١٢.الجليدي، مصدق (2017). المشروع الإصلاحي في فكر الطاهر بن عاشور– دور القيم والتربية في الإصلاح الاجتماعي من منظور مقاصدي عمراني. مؤسسة مؤمنون بلا حدود. المغرب: الدار البيضاء.

١٣.حسين، محمد (2005). التنظير المقاصدي عند الإمام محمد الطاهر بن عاشور في كتابه مقاصد الشريعة الإسلامية. أطروحة دكتوراه. الجزائر: جامعة الجزائر.

١٤.الحلواني، إحسان (1418). بعض المعالم التفصيلية للإدارة التربوية في السيرة النبوية. مكة المكرمة: رسالة ماجستير غير منشور. جامعة أم القرى.

١٥.الحلواني، إحسان (1429). منهجية التأصيل الإسلامي للإدارة التربوية. مكة المكرمة: أطروحة دكتوراه غير منشورة. جامعة أم القرى.
١٦.الرماني، زيد بن محمد (1995). مقاصد الشريعة الإسلامية. (ط1). الرياض: دار الغيث.
١٧.الريسوني، أحمد (1995). نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي. (ط1). الولايات المتحدة الأمريكية: المعهد العالمي للفكر الإسلامي. فرجينيا.
١٨.الزحيلي، وهبة (1411 - 1991). أصول الفقه الإسلامي. دمشق – سوريا: دار الفكر المعاصر.
١٩.السفياني، عائشة بنت عامر (1433). الفكر المقاصدي وأثره في بناء النظرية التربوية الإسلامية "تصور مقترح". مكة المكرمة: رسالة دكتوراه غير منشورة. جامعة أم القرى.
٢٠.سلمان، جلال علوان (2013). اجتهادات عمر بن الخطاب الإدارية في ضوء مقاصد الشريعة الإسلامية. ماليزيا: رسالة ماجستير. جامعة ملايا. كوالالمبور.
٢١.الشاطبي، أبو إسحاق إبراهيم بن موسى (د. ت). الموافقات في أصول الشريعة. شرح وخرج أحاديثه: عبدالله دراز. بيروت – لبنان: دار الكتب العلمية.
٢٢.شحاته، حسن؛ والنجار، زينب (2004): معجم المصطلحات التربوية والنفسية. ترجمة وتحقيق: حامد عمار. القاهرة: الدار المصرية اللبنانية.
٢٣.شلحة، ريما خليل محمد (2012). الدور التربوي للأسرة الفلسطينية في تمثل مقاصد التشريع الإسلامي لدى أبنائها من وجهة نظر طلبة الجامعة الإسلامية بغزة وسبل تفعيله. غزة: رسالة ماجستير. الجامعة الإسلامية.
٢٤.الشوبكي، رانية جهاد إسماعيل (2009). الطاهر ابن عاشور وجهوده البلاغية في ضوء تفسيره التحرير والتنوير. المعاني والبديع. غزة: رسالة ماجستير. الجامعة الإسلامية.
٢٥.العايب، نورة (2008). متطلبات الممارسة الإدارية لدى مدراء الإكماليات في تسيير مؤسساتهم التربوية– دراسة ميدانية بولاية ميلة. رسالة ماجستير غير منشورة. الجزائر: جامعة منتوري– قسنطينة.
٢٦.عبداللاوي، بشير المكي (2017). إشكالية إصلاح التعليم من خلال "أليس الصبح بقريب" لمحمد الطاهر ابن عاشور. مجلة الحوار المتوسطي. العدد (15– 16). مارس.
٢٧.عرب، هاني (2009). محاضرات في مهارات التفكير والبحث العلمي. ملتقى البحث العلمي. بدون بيانات الناشر ومكان النشر.
٢٨.العيسى، أحمد (2009). إصلاح التعليم في السعودية بين غياب الرؤية السياسية وتوجس الثقافة الدينية وعجز الإدارة التربوية. بيروت: دار الساقي.
٢٩.قراوي، بثينة (2017). الرؤية المقاصدية عند ابن عاشور من خلال كتابه مقاصد الشريعة الإسلامية. مجلة أصول الدين. كلية الدعوة وأصول الدين بالجامعة الأسمرية الإسلامية. العدد (3). يونيو.

٣٠.الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (1413 – 1993). تحقيق: محمد عبدالسلام عبدالشافي. ط١. بيروت: دار الكتب العلمية.

٣١.القرني، محمد بن سعد بن عبدالله (1427– 2007). الإمام محمد الطاهر ابن عاشور ومنهجه في توجيه القراءات من خلال تفسيره التحرير والتنوير. مكة المكرمة: رسالة ماجستير. جامعة أم القرى.

٣٢.الكودي، عبدالرحمن حسين (2001). الإصلاح الفكري والاجتماعي في تفسير ابن عاشور– دراسة موضوعية. ماليزيا: رسالة ماجستير غير منشورة. الجامعة الإسلامية العالمية.

٣٣.محمود، علي عبدالحليم (1994). فهم أصول الإسلام في رسالة التعاليم. (ط1). القاهرة: دار التوزيع والنشر الإسلامية.

٣٤.مراد، عبدالفتاح مراد (1998). موسوعة البحث العلمي وإعداد الرسائل والأبحاث والمؤلفات. بدون بيانات الناشر ومكان النشر.

٣٥.مكتب التربية العربي لدول الخليج، التعليم ورؤية المملكة 2030، 30 سبتمبر 2017، متاح على الرابط الالكتروني:
https://www.abegs.org/aportal/article/article_detail?id=5676510305845248- 25 Dec 2018

٣٦.هياق، إبراهيم (2011). اتجاهات أساتذة التعليم نحو الإصلاح التربوي في الجزائر– أساتذة متوسطات أولاد جلال وسيدي خالد نموذجًا. الجزائر: رسالة ماجستير غير منشورة. جامعة منتوري– قسنطينة.

٣٧.الواعر، نسيم (2016). الإصلاح الإداري ودوره في تحسين الخدمة العمومية في الجزائر. الجزائر: رسالة ماجستير غير منشورة. جامعة العربي بن مهدي– أم البواقي.

٣٨.اليوبي، محمد سعد أحمد (1418– 1998). مقاصد الشريعة الإسلامية وعلاقتها بالأدلة الشرعية. (ط1). الرياض: دار الهجرة للنشر والتوزيع.